الباب الثاني

مجالس التقرب إلى الله تعالى

المجلـــــس الأول

المجلـــس الثـــاني

المجلـــس الثالـــث

المجلـــس الرابـــع

المجلـــس الخـــامس

المجلـــس الـــسادس

المجلـــس الـــسابع

المجلـــس الثـــامن

المجلـــس التاســـع

المجلـــس العاشـــر

المجلس الأول

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس الأول

- بعض المعاني الرائعة لذكر الله تعالى ...
- سارع وصل قلبك بذكر الله لتصل ..!
- إذا دخل النور الصدر انفسخ ...
- الذكر تولُّه لا تكلَّف ...
- أقبل بشوق ..تُقبلْ...
- سارعوا ولا تباطؤوا ..؟!
- من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل..
- هل تريد أن تصبح عالماً حكيماً ..
- ما هو المطلوب منا ..؟
- شروط التوبة النصوح..
- من شروط الصحبة ..
- سيحصد عبد الله ما كان زارعاً ..؟
- تجربة عشتها ورأيتها بعيني ..
- الذكر مفتاح باب النفحات الإلهية والتجليات الربانية..
- الذكر الحقيقي رغبة وشوق ..
- من ذاق عرف.. ومن عرف اغترف ...
- لا عالم إلا من الله خائف ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بعض المعاني الرائعة لذكر الله تعالى...

١- الذكر هو استشعار الذاكر أن الله تعالى ناظره وشاهده، واستغراقه بأن الله تعالى معه يراه ويسمعه قال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد]. فمتى داوم الذاكر على هذا الشهود فهو مع الله تعالى **وقد جاء في الحديث القدسي:** «أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وأنا معه إذا ذَكَرَنِي»(١).

٢- والذكر يثمر مقامات القرب والحب لله تعالى، فإذا غلب على العبد سلطان الذكر سَرَى فيه حُبُّ المذكور جل جلاله، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [سورة البقرة].

(١) متفق عليه .

٣- والذكر يغير حياة الإنسان ويُرَقِّيه، ليصل إلى أسمى الصفات والقيم الإنسانية النبيلة والراقية ...

٤- والذكر يُورِث السمو الروحي، فينشرح الصدر بنور الله تعالى، وهو بابك للإكرام الإلهي، وحفظ الله تعالى لك مع التأييد والعناية.

قول

يقول أبو القاسم القشيري : (الذكر منشور الولاية، ومنار الوصلة، وتحقيق الإرادة، وعلاقة صحة البداية، ودلالة النهاية، فليس وراء الذكر شيء، وجميع الخصال المحمودة راجعة إلى الذكر ومنشؤها الذكر). **ويقول**: (الذكر ركن قوي في طريق الحق سبحانه وتعالى، بل هو العمدة في الطريق، ولا يصل أحد إلى الله تعالى إلا بدوام الذكر)[1].

الخلاصة

الذكر طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق

سارع وصِلْ قلبك بذكر الله لتَصِلَ..!

ومجلس الذكر هو مجلس التقرب إلى الله تعالى، ومجلس وصال القلب بالله تعالى.

انتبه

يمكن أن يستفيد الإنسان من الوعظ والإرشاد والتذكير، ولكن الفائدة الكبرى تحصل عندما: يطمئن قلب الإنسان بذكر الله تعالى

إذا اتصل هذا القلب بذكر الله تعالى: **يصبح** له واردات وإمداد، **يصبح**

(١) الرسالة القشيرية ص٢٢١

المعلم هو الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ [سورة البقرة]، **يصبح** لك حظ من قول الله تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الكهف]، **يصبح** لك حظ من قول الله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة طه]، إذا كنت أنت تربية الله تعالى، ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾، فإن الله تعالى يزكيك، والله تعالى يُعلِّمك!!. وعند ذلك لك أن تتصور في أي مقام أنت؟!، وفي أي بركة أنت؟!، وأيّ قدرة على الدعوة إلى الله عز وجل تملك في هذه الحالة؟! لذلك ..

وصية

يجب ألاّ تفوت على نفسك مجالس الذكر ومن بدايتها...
ويجب أن تعلم أن مجلس الذكر إنما هو في الأساس من أجل تدريب القلوب على ذكر الله تعالى.. حتى تصبح قلوباً ذاكرةً والهةً بالله تعالى.. عاشقةً لله تعالى..
مطمئنةً بذكر الله تعالى ..

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد] **فالذكر يحقق اطمئنان القلب وموالاة الله تعالى للعبد**، وهذا لا يتحقق بسهولة، بل يلزمه عزيمة قوية وجهد وصدق كبير، وإقبال عظيم على الله تبارك وتعالى..

إذا دخل النور الصدر انفسح..

تلا رسول الله ﷺ، الآية الكريمة : ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [سورة الأنعام]، **فقال** ﷺ: «إِنَّ النُّورَ إِذَا دَخَلَ الصَّدْرَ انْفَسَحَ» فقيل: يا رسول الله هل لذلك

من علم [علامة] يعرف **قال**: «نَعَمْ، التَّجَافِي عَنْ دَارِ الغُرُوْرِ، والإِنَابَةُ إلى دَارِ الخُلُودِ، والاسْتِعْدَادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِهِ» (١).

فإذا وجدت لديك هذه العلامات، فذلك دليل على أنك في دائرة عناية الله تعالى، وأن الله تعالى قد فتح لك باب الهداية، فحافظ على هذه الشروط الثلاثة ما حييت، وتذوق حلاوة نظر الله إليك، واسعد بنور الإسلام والهداية والتوفيق الذي وضعه الله تعالى في صدرك، وبين عينيك، فلا تضل ولا تخزى.

قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الزمر]. فمن حُجِب قلبه عن ذكر الله تعالى، فأصابه القسوة، فليس له من نصيب إلا الضلال والخسران والضياع، وإنها حقيقة بيّنة لا لَبْسَ فيها.

قول

قال الفضيل بن عياض: (علامة الشقاوة خمس: قلّة الحياء، وقسوة القلب، وجمود العين، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل) (٢).

الذكر توله لا تكلف...

يجب عليك ألّا تأتي إلى مجالس الذكر تكلّفاً، بل أن تأتي عاشقاً، والهاً، مقبلاً، يجب أن تأتي وأنت ترجو الله تعالى بحالك ولسانك: (يا رب افتح علي... يا رب افتح لي أبواب فضلك، وانشر عليّ خزائن علمك، واجعلني من عبادك الذاكرين المقربين...). يجب أن نتزاحم في مجلس الذكر، ونسعى لنكون في الصفوف الأولى.

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله: (قال أهل الله ﷻ : من ذكر

(١) أخرجه الحاكم ، (٣٤٦/٤).

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة ص/٤٥٧.

الله فهو على نور من ربه، وعلى طمأنينة من قلبه، وعلى سلامة من عدوه، وقالوا: ذكر الله طعام الروح، والثناء عليه شرابها، والحياء منه لباسها . وقالوا: ما تنعم المتنعمون بمثل أُنْسه، ولا تلذّذ المتلذذون بمثل ذِكْره) (١).

أقبل بشوق ....تُقبَل..

تقرب بقدر ما تستطيع، إذا تقربت تُقرَّب، **عن أنسٍ** ﷺ **عن النبي** ﷺ **فيما يرويه عن ربه قال**: «إذا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إليّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعاً وإذا تَقَرَّبَ إلي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ منه بَاعاً وإذا أَتَانِي يمشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»(٢).

لذلك تَقرَّب ولا تَستغنِ وتُعرضْ فيُعرض الله عنك، فقد **ورد عن أبي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ** ﷺ بَيْنَمَا هو جَالِسٌ في الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ معه إِذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إلى رسول اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ قال: فَوَقَفَا على رسول اللَّهِ ﷺ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً في الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فيها وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا فلما فَرَغَ رسول اللَّهِ ﷺ قال: « ألا أُخْبِرُكُمْ عن النَّفَرِ الثَّلاثَةِ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إلى اللَّهِ فَآوَاهُ الله وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا، فَاسْتَحْيَا الله منه وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ الله عنه »(٣).

وصية

لا تستغنِ عن ذكر الله

لا يوجد عاقل يستغني عن ذكر الله

العاقل مفتقر دائماً على باب الله تعالى

سارعوا ولا تباطؤوا ..؟!

لذلك يجب أن نتزاحم وأن نسارع (**وسارعوا**)، وليس (**تباطؤوا**) ولا

(١) البرهان المؤيد ص ٣٨ .

(٢) أخرجه البخاري (٦/٢٦٩٤).

(٣) أخرجه البخاري، (١/٣٦).

(**تكاسلوا**)، بل سارعوا وسابقوا، يجب أن يكون بيننا سباق وتنافس... ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة المطففين] .

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله : (القوم بايعوا الله بصدق النيات، وخالص الطويات على كثرة المجاهدات، وملازمة المراقبات والطاعات، والصبر على جميع المكروهات، قال الله تعالى فيهم : ﴿ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾[سورة الأحزاب]، بادروا إلى ركوب العزائم بالعزم وقوة الحزم) [1].

وصية

يجب أن يقوم برنامجنا في الإقبال على الله تعالى على الهمة والعزيمة. عليك يا أخي السالك في طريق الذكر ألاّ يغيب عن فكرك وقلبك وهمتك، نداؤه تعالى (وسارعوا) و (سابقوا) هذا طريق الخواص إن أردت أن تكون في زمرة المحبوبين لله تعالى...

قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ [طه]، ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة]. كيف يمكن أن تحظى بمرتبة محبوبية الله عز وجل... إذا كانت همتك ضعيفة!؟، إذا كانت همتك مريضة!؟، وإذا تباطأت عن الإقبال على الله ﷻ !؟.

فائدة

الذكر يجعل القلب حاضرا مع الله فلا ينشغل عن محبته

هنالك سالكون أفنوا وجودهم وأعمارهم في الإقبال على الله تعالى، والأعمال الصالحة، والتماس العلم والتعليم، والذكر والتذكير، والعبادة والطاعة، وقيام الليل والتهجد، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة السجدة]، ومراقبة الله على

(١) البرهان المؤيد ص٣٢

كل حال، والحرص على استشعار معيته تعالى على كل حال، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد]، أفنوا حياتهم في ذلك ولا يزالون ظمأى يشعرون أنهم لم يصلوا إلى ما يريدون ولم يبلغوا ما يريدون. **قال الشبلي:**

شعر

عجبتُ لمن يقولُ ذكرتُ ربي	وهل أنسى فأذكرُ مَنْ نَسيْتُ
أموتُ إذا ذَكرتُكَ ثمّ أحيَا	ولولا ماءُ وصْلِكَ ما حَييتُ
فأحيَا بالمُنى وأموتُ شَوْقاً	فكَمْ أحيا بذِكْرِكَ وكَمْ أموتُ
شَربْتُ الحبَّ كأساً بعد كأسٍ	فما نفدَ الشَّرابُ ولا رويتُ[1]

من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل...

من يطلب المعالي فعليه بذل الجهد المناسب لهذا الهدف، فإذا كنت تطلب محبة الله، وترجو السعادة في الدنيا والآخرة، وتتشوق إلى القرب من الله، فما هو حجم الجهد الذي يجب أن تبذله؟ «ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»[2]. إذا كنت تريد أن تحظى بمقام القرب الإلهي، والمحبوبية من الله عز وجل يلزمك، (وسارعوا) و (سابقوا)؛ لأنه يستحيل قطعاً أن تصدق مع الله عز وجل ولا يصدقك تعالى، فالله أكرم من العباد، وهو أكرم الأكرمين، لا يمكن إلا أن يعطيك، بل سوف يعطيك حتى يرضيك، فهو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [سورة آل عمران]. **والنبي ﷺ قال بحق الأعرابي:** «صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَقَهُ الله»[3].

(١) انظر الرسالة القشيرية ،باب المعرفة بالله (١/١٤٦).

(٢) أخرجه الترمذي، (٤ /٦٣٣)، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ .

(٣) أخرجه النسائي، (١ /٦٣٤) .

انتبه

أهل الدنيا... وإن كنت صادقاً معهم ، فمن الممكن ألاّ يعطوك ولا يرضوك، بل ويمكن أن يؤذوك!!.. ولكن إن كنت صادقاً مع الله في الطلب والسلوك والعمل... فسيفتح لك رب العزة الأبواب: أبواب القبول...أبواب السعادة ... أبواب القرب ... أبواب العلم اللدني ...

﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ ﴾ و﴿ سَابِقُوٓاْ ﴾، هكذا يجب أن يكون ديدنك وأن تكون همتك في كل شيء، في الذكر، في الطاعات... في أعمال البر... في طلب العلم..في التعليم والإرشاد... في تأديب نفسك ومجاهدتها ووعظها..

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله : (أين أهل الصدق الذين يأمرون الناس بالبر ويأتمرون به، أين أهل الإيمان الكامل الذين يطلبون الحكمة ولا يقف نظرهم عند موضعها، من كمال الإيمان والصدق وَعْظُك نَفْسَك ونَفْعُك غَيْرَك وأَخْذُكَ الحكمة أين وجدتها) [1].

هل تريد أن تصبح عالماً حكيماً ..

أتريد أن تصبح غداً عالماً من أهل العلم والحكمة، والمعرفة والقرب ومن أهل الفضل، و يتتلمذ الناس على يديك فينتفعوا ويلتمسوا بركة العلم عندك؟ هذا لا يتأتى بالكسل، كان شيوخنا يسهرون الليالي في طلب العلم والاجتهاد في الطريق إلى الله.

كان سماحة شيخنا – رحمه الله وجعل الله روحه في أعلى علّيين – كثيراً ما ينام في الجامع في بداية أيام طلبه للعلم، يحرص على ذلك خوفاً من أن

(١) البرهان المؤيد ص٢٤.

يستغرق في النوم، لأنه كان يحفظ القرآن ويقرؤه على الشيخ سليم الحلواني... وكان ينزل في الليل قبل الفجر ماشياً من جامع أبي النور إلى جامع التوبة بين البساتين – لأن كل هذه المناطق كانت بساتين – لم يتوفر له حتى دراجة هوائية، ينزل ماشياً بين البساتين حتى يصل إلى جامع التوبة فيصلي صلاة الفجر مع الجماعة ثم يكون أول الحاضرين مع الشيخ الحلواني. لأن المريد والتلميذ المجتهد لا يأتي بعد مجيء الشيخ إلا لعذر قاهر..

ما هو المطلوب منا ...؟؟

أولاً : المطلوب منك أن تسارع بالتوبة النصوح، عملاً بقوله سبحانه وتعالى ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [سورة آل عمران] فأول الخطوات: المسارعة بالتوبة النصوح لتحصل على المغفرة ...

وشروط التوبة النصوح هي :

قول

١) الندم الشديد على فِعْل المعاصي، والاستعجال بالتوبة. **قال لقمان الحكيم لابنه:** (لا تؤخِّر التوبة فإن الموت يأتي بغتة)[1].

٢) الإقلاع عن المعاصي .

٣) الإكثار من الاستغفار، ﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة نوح]

٤) الإكثار من الطاعات والقربات، ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [سورة هود]، **وقال رسول الله** ﷺ : «اتَّقِ اللَّهِ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا وَخَالِقِ الناس بِخُلُقٍ حسنٍ»[2].

٥) العزم على عدم الرجوع إلى المعاصي .

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٥/٤٣٩).

(٢) أخرجه الترمذي، (٤ / ٣٥٥)، و قال : هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

٦) أداء الحقوق والمظالم إلى أهلها، فإن كانت غيبة أو نميمة، طَلَبَ العفو من صاحبها، وإن كانت مالا وما بحكمه ردَّه إليه وطلب المسامحة .

٧) ترك الأصحاب الفاسدين، والتزام الأصحاب الصالحين .

٨) السعي والاجتهاد في إصلاح العيوب الظاهرة و الباطنة .

ثانياً : مطلوب منك أن تصاحب الذاكرين الصادقين، يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾[سورة التوبة]، **وفي الحديث** «هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»[1] .

من شروط الصحبة...

قول

قال ابن عطاء السكندري: (لا تصحب من لا يُنْهِضُكَ حاله، ولا يدلُّك على الله مقالُه) [2]، **وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال:** قيل يا رسول الله أي جلسائنا خير؟ **قال:** «مَنْ ذَكَّرَكم اللهَ رُؤيَتُهُ، وَزَادَ في عَمَلِكُم مَنْطِقُهُ، وَذَكَّرَكُم بالآخِرَةِ عَمَلُهُ» [3].

وقال تعالى مخاطباً سيدنا محمداً ﷺ: ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الكهف].

(١) أخرجه مسلم، (٤/٢٠٦٩).

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة ص٩٧.

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده، ورواته رواة الصحيح إلا مبارك بن حسان، وقد وُثِّق.

شعر

قال الإمام أبو القاسم القشيري:

لا تَـدَعْ [صُـحبة] خِدمَـة الأكـابر واعلـم ... أنَّ فـي عـشْرَةِ الـصّغارِ صَـغَارا

وابْـغِ مَـنْ فـي يمِيْنِـهِ لـكَ يُمْـنٌ ... وتَـرَى فـي اليَـسارِ منـهُ اليَـسارا[1]

فائدة

إن الذي يصاحب ويلازم أهل الهداية ويستقيم، لا بد أن تصيبه نفحاتهم.. ولا بد أن تشمله بركاتهم وأخلاقهم.. التي وهبهم الله تعالى إياها...وذلك بصدق عبوديتهم..وحسن أدبهم.. وتزكية نفوسهم. قال رسول الله ﷺ :

(الرَّجُلُ على دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أحدكم من يُخَالِلُ)[2]

ثالثاً : مطلوب منك بذل جهد كبير وإقبال عظيم على الله ﷻ:

يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾ [سورة الأحزاب]، ويقول في وصف المؤمنين أولي الألباب: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [سورة آل عمران].

شعر

قال الشاعر:

يـــا طويـــلَ الرُّقـــادِ والغفَـــلاتِ ... كثْـــرَةُ النـــومِ تـــورِثُ الحَـــسَراتِ

إنَّ فـــي القبـــرِ إنْ نزَلـــتَ إليـــهِ ... لَرُقـــاداً يَطـــولُ بعـــد الممـــاتِ[3]

(١) الرسالة القشيرية: ص١٣.

(٢) أخرجه أبو داود (٤/٢٥٩) ..

(٣) انظر إحياء علوم الدين (١/٣٥٧).

سيحصد عبد الله ما كان زارعا؟...

أهل محبة الله العارفون العاشقون المربون، أفنوا حياتهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه... ماذا أثمرت هذه الهمة؟؟. ما هي نتائجها ؟!.. يقول الشاعر:

شعر

سَيَحْصُدُ عَبْدُ الله مَا كَانَ زارِعَاً فَطُوبَى لِعَبْدٍ كَانَ لله يَزْرَعُ

انتبه

لا تظن أبداً أن تحصل على ماتريد من غير بذل الجهد..
يجب أن تبذل الجهد المناسب لما تطلب ولما تريد ..
فمن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ..

تجربة عشتها ورأيتها بعيني..؟

رأيت بعيني وعشت تجربةً ورأيت أمثالها في حياة كثير من الناس، والله إن صدقت الله عز وجل، فإن الله سيعطيك كرامة الدنيا والآخرة إن شاء الله، لأنه تعالى قال: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة النحل]، وقال أيضاً: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [سورة الزمر]، وقال جل جلاله : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة يونس].

ذات يوم **كان شيخنا** يوجه ويرشد جلساءه من طلاب العلم الذين تخرجوا في المعهد الشرعي في مجمعنا الإسلامي، ولم يكن أمامهم أي فرصة لمتابعة دراستهم لا في جامعة دمشق ولا في غيرها[1] . وأنا حاضر وشاهد . فأمسك بلحيته الطاهرة **وقال لهم**: «من يصدق الله ﷻ منكم فإن الله سيكرمه في الدنيا قبل الدار الآخرة».

(١) في تلك الآونة لم تكن الكليات في المجمع قد افتُتحت، لا كلية الدعوة ولا كلية أصول الدين ولا كلية الأوزاعي ولا كلية الشريعة ولا كلية الدراسات العليا.

تُرى لمَ يتكلم الشيخ بهذه الثقة؟ لأن هذا وعد الله ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [سورة النحل]، هذا وعد الله... فماذا كانت النتيجة؟. لقد أقام الشيخ لهؤلاء الطلبة دورات تقوية في مختلف العلوم الشرعية .. وكان يشحذ هِمَمَهُم، ويقوّي عزائمهم في أيام وأحوال لا تُبشّر أبداً بفرج قريب في المدى المنظور والأجواء صعبة جداً، ومع ذلك فالذين ﴿ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة الأحزاب]، وسلكوا بهمة عالية في طريق الذكر وطلب العلم، وسابقوا وسارعوا وأقبلوا على الله، حقق الله تعالى على أيديهم فتحاً مباركاً فيه، وأكرمهم بعزة وكرامة وفتوح يغبطون عليها.

الذكر مفتاح باب النفحات الإلهية والتجليات الربانية.

إذن إذا صدقت الله بذكره يصدقك ويعطيك ويعزك ويفتح عليك على حسب صدقك وهمتك ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ ﴿٨٨﴾ ﴾ [سورة هود].

بعلوِّ الهمة يجب أن نقبل على الله تعالى، هذا لمن يعلم ماذا يطلب، ويعرف ماذا يقصد، إنّ مَنْ يطلب جوهرةً نفيسة فريدة من نوعها، ويعرف قيمتها يعلم تمام العلم كم يحتاج أن يبذل من أجلها، ويهون عليه البذل، أما مَنْ لم يعلم ما قيمتها فمثله كمثل الطفل الصغير؛ إذا عُرِضت عليه الجوهرة لا يلتفت إليها، في حين لو عرضت عليه لعبة يَلهو بها يلتفت إليها ويقبل عليها ليأخذها؛ احذر أن يكون عقلك وسلوكك كعقل وسلوك هذا الطفل.

يجب أن تذكر الله عز وجل، وأن تدرب قلبك على الذكر. اجلس أنت وقلبك خاطبه «يا قلبي اذكر الله، يا قلبي قل الله.. الله» حتى يصير الذكر لديك طبيعة وسجية.

وصية

اطلب المعالي... اطلب المجد... اطلب علو المقام من الله ... وادخل من باب الصدق ومن باب الذكر...ومن باب الانكسار والأدب ..

فائدة

الذكر حياة، وفي الغفلة موت القلب، وإذا غفل القلب عجز صاحبه عن الوصول إلى معرفة الله ﷻ ... والذكر باب الوصول إلى التوحيد الخالص، ويجعلك منضبطا بضوابط الشريعة ... والذكر يحقق انشراح الصدر والسرور، والغفلة تورث ضيق الصدر والحزن ...

الذكر الحقيقي رغبة وشوق...

إن ميزة الذاكرين الحقيقيين أن ذكرهم غير متكلَّف، وكلما تعمقت المعرفة والصلة بالله تعالى يصبح الذكر رغبة وشوقاً، وطبيعة بلا تكلف، نحن نجلس ونتكلّف الذكر تكلّفاً، نحن ذاكرون أم متكلفون للذكر؟ نحن نتكلف الذكر، نـدرِّب أنفـسنا، نحـاول أن نكـون مـن الـذاكرين، إذا بـذلت الجهـد المطلـوب بشكل جيد يصير الذكر لديك طبيعةً لا تكلفاً.

وصية

إذا بذلت الجهد المطلوب بشكل جيد في مدرسة الذكر.. يصير حالك حال الذاكر... عقلك عقل الذاكر... عينك عين الذاكر... أذنك أذن الذاكر... سلوكك سلوك الذاكر... كلامك... فهمك... حياتك... كلها تندرج تحت عنوان أهل الذكر.

فالمحب لله لا يغفل عن ذكر الله، «**وكان النبي ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ على كل أَحْيَانِه**»[1].

(١) متفق عليه .

من ذاق عرف، ومن عرف اغترف...

يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وأنا معه إذا ذَكَرَنِي»[1].

الباب مفتوح، باب الكنز مفتوح، ماذا تحب أن تأخذ؟ فأنت وهمتك... تحب أن تأخذ شيئاً قليلاً من الكنز تحظى بالقليل، تحب أن ترغب عنه لن تحصل على شيء، لذلك اقترب بهمة عالية وعزيمة صادقة تحصل على المراتب العالية.. اقرأ التاريخ وابحث وادرس في حياة الناس الذين صنعوا مجد هذا الدين، وتعال لنتساءل: **هل** كل الذين طلبوا العلم صنعوا مجداً لهذا الدين؟ لا.

هل كل الذين طلبوا العلم حققوا إنجازات كبرى لهذا الدين؟ لا.

الذين صنعوا مجداً لهذا الدين هم قليلون، لكنهم الأكثر اجتهاداً، والأكثر إقبالاً على الله، أفنوا وجودهم في الإقبال على الله حتى استطاعوا أن يحققوا هذه الإنجازات، ومع ذلك إذا سألتهم يقولون لك نحن مقصرون كثيراً مع الله.

فائدة

الذكر يورث التواضع مع الناس ...

ويورث الافتقار والأدب مع الله ﷻ ...

وهو مفتاح وصال القلب بالله تعالى والوصول إليه ...

وهو دليلك إلى الأولياء والمقربين...

(١) متفق عليه.

لا عالم إلا من الله خائف...

موقف

قلت لشيخنا مرة وقد ذهبت إليه ليوقع شهادات الخريجين بعد قيامنا بدورة عالمية للأئمة والخطباء ضمّت أكثر من مئتين وخمسين إماماً وخطيباً ينتمون لاثنتين وأربعين جنسية، وأقاموا عندنا لمدة ثلاثة أشهر[1]...

قول

قلت: (جزاكم الله خيراً، كل هذا في صحيفتكم، وببركة جهادكم وتعبكم، هل تعلمون ماذا قال لي؟ **قال لي**: (يا بني ، أنا خائف أن أقف بين يدي الله ويكون عملنا غير مقبول، أنا خائف أن أقف بين يدي الله وعملنا يشوبه النقص ..) كل هذا العمل والإنتاج ولديه خوف ..!! يقول: (أنا خائف أن أموت ولم أنجز شيئاً، وليس معي شيء، بأي شيء سأقبل على الله ..؟). إذا سألنا (ماذا عَمِلْتم؟ ماذا أنتجتم؟ بماذا سنجيب رب العزة..؟!.

هكذا يجب أن تكون همتنا في أعلى مراتب العمل والإنتاج، وأن يكون افتقارنا وأدبنا وإخلاصنا وخشيتنا وذكرنا وشوقنا لله تعالى في أعلى مراتب التقرب.

---

(١) كنا نسمي تلك الدورات دورات إسعافية نعلّم الأئمة والخطباء فيها العلوم الشرعية الأساسية، وبخاصة منهم أبناء دول الاتحاد السوفيتي بعد انهياره وافتتاح المساجد هناك على قدم وساق وافتقارهم الشديد للأئمة والخطباء، فكان هؤلاء المشاركون في الدورات بحاجة شديدة إلى جرعات مكثفة وسريعة من العلوم الشرعية والدعوية والتزكوية حتى يرجعوا لإحياء تلك المساجد بالعلم والتربية والتعليم)، ولقد وَرَدَتْنا من إحدى بلدات الداغستان (**رسالة شكر**) جاء فيها «**جزاكم الله خيراً، إمامنا ذهب لعندكم بحال ورجع بحال آخر**»، كان عدد رواد الجامع قليلاً جداً، كان معظمهم كباراً في السن، لقد رجع الإمام بغير ما ذهب به: بدأت حركة التعليم في المسجد بعد عودته، فدورات القرآن للشباب، وتعليم الكبار، وتعليم الصغار، لقد صار المسجد كخلية نحل... صار المسجد مدرسة تعليم وتربية وتزكية وإنتاج للدعاة.

قول

قال ذو النون: (من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه».

أسأل الله تعالى أن يقذف في قلوبنا نور الاشتياق إليه، وأن يسعدنا جميعاً بالذكر والقرب والحضور وبمراقبة الله على كل حال...

اللهم انفعنا وزد نفعنا، اللهم اهدنا واهْدِ بنا، اللهم علِّمنا وعلِّم بنا، اللهم أسعدنا وأسعد بنا، واجعل أعمالنا خالصةً لوجهك الكريم...

اللهم أحلنا من تدبيرنا إلى تدبيرك، ومن ضعفنا إلى قوتك، ومن فقرنا إلى غناك، ومن جهلنا إلى عِلْمك، وحفّنا بألطافك الخفية وأعذنا من كل بلاء وبليّة...

اللهم يا مَن فتحت بابك للطالبين افتح علينا فتوح العارفين والعاشقين والمحبين والمحبوبين..

اللهم افتح لنا أبواب فضلك، وانشر علينا خزائن علمك، وأيقظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك، برحمتك يا أرحم الراحمين ...

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

المجلس الثاني

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس الثاني

- هل تريد معالجة أمراض قلبك ونفسك ..؟!
- كم هي محصلة ذكرك ..؟
- الزم جماعة الذاكرين..
- السلوك يحتاج إلى ثلاثة أشياء ...؟
- إذا ربحت محبة الله .. ربحت كل شيء ..
- هل الذكر ضروري للدعاة ؟
- الخلوة والاعتكاف ...
- ادخل مدرسة غار حراء قبل أن تبدأ بالدعوة..
- مسؤولية الدعوة تحتاج إلى مدد إلهي ..؟
- من عرف نفسه.. عرف ربه ..
- ماذا عنك ...؟!
- أهم شرط لنجاح الداعي هو ..؟!
- سبع خصال لابد منها لطالب العلم ..
- شيء غريب ...؟!
- أربعة أشياء تجعلك مؤثراً في الناس ...؟
- القضية ليست قضية أشخاص ...
- اعتن بصلاتك ...
- هل تريد أن تصبح من أولياء الله تعالى ...؟
- تعهد نفسك في ثلاثة مواضع ...؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هل تريد معالجة أمراض قلبك ونفسك..؟!

قول

مازلنا في مدرسة ذكر الله تعالى، **وكان من كلام سماحة شيخنا**[1] **رحمه الله حول موضوع الذكر**: «وإن أعظم الدواء لكل أمراض النفس، وأفتك السلاح للتغلب على أهوائها، ولإحياء النفس المطمئنة بالله، هو إدمان ذكر الله تعالى مع حضور القلب، ولا أعون للعبد على ذلك مثل الذكر مع الجماعة، والاستدامة على ذلك، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يستوحش أنيسهم».

هل تريد معالجة أمراض قلبك ونفسك؟..**هل** تريد التغلب على أهواء نفسك؟..**هل** تريد إحياء قلبك ليطمئن بالله؟..

فائدة

دواء مرض القلب هو ذكر الله.. بل إدمان ذكر الله..
يجب أن تصبح مدمناً على ذكر الله تعالى..

(١) الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله، من رسالة أرسلها إلى إخوانه أثناء سفره..

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الرعد]، هل تريد أن تحصل على القلب المطمئن بالله؟..يجب أن تدمن على الذكر، وليس إدمان ذكر الله وحده هو الذي يلبي الطلب ويحقق الهدف.. ينبغي أن تدمن على ذكر الله، ينبغي أن تذكر الله تعالى مع جمعية القلب، ينبغي أن يكون قلبك حاضراً في الذكر من غير شرود، وينبغي أن تذكر مع الجماعة، و تستديم على ذلك..

كم هي محصلة ذكرك ؟...

قد تجد قوماً جلسوا ليذكروا الله نصف ساعة من الزمن، فترى محصلة ذكر أحدهم /٢٠/ دقيقة، وآخر محصلة ذكره /٧/ دقائق، رغم أنه جلس وتوجه إلى القبلة، وتجد آخر منذ دخوله في الذكر وحتى خروجه لا دخل ولا خرج، هو خارج الذكر، يعيش في عوالم أخرى، يفكر ويشرد، يتنقل في تفكيره من مكان إلى مكان، ويهيم في أودية الشرود والوساوس والغفلة.

قول

يقول أبو حمزة البغدادي: (محال أن تحبه ثم لا تذكره، ومحال أن تذكره ثم يحجبك عنه ويشغلك بغيره)، لذلك عليك أن تذكر، وعليك أن تدمن على الذكر، وأن يكون قلبك حاضراً بالذكر.

الزم جماعة الذاكرين ..

قول

يجب عليك أن تذكر مع الجماعة، وأن تستديم على حضور الذكر مع الجماعة كما **قال شيخنا:** «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يستوحش أنيسهم». هذا هو الباب المفتوح دائماً لتحصيل مقام القلب المطمئن بالله عز وجل، لذلك من المطلوب أن تجتهد دائماً وباستمرار.

فائدة

مجالس الذكر في الجماعة هي
مجالس ذات تأثير قوي في قلوب الذاكرين..

عن أبي هريرة وأبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنهما أنهما شهدا على النبيﷺ أنه قال: «وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إلا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ»[1].

عندما تقارن بين ذكرك منفرداً وبين ذكرك مع الجماعة ستجد أن تأثير الذكر مع الجماعة أوقع في القلب، وأكثر تأثيراً في الروح والنفس، وبعد انتهائك من مجلس الذكر ترى تأثيره في قلبك أبقى من التأثير الذي تلقاه في الذكر منفرداً، لذلك لا تتأخر على جلسات الذكر مع الجماعة، ولا تنسَ ﴿**وسارعوا**﴾. فأنت تسارع إلى محبة الله ، وإلى رضوان الله، إلى أن تصبح محبوباً عند الله عز وجل.

السلوك يحتاج إلى ثلاثة أشياء ...؟

السلوك في طريق الذكر يحتاج إلى: المحاسبة ، والمراقبة ، والصحبة...

وصية

حتى تصل إلى مطلوبك:

١- عليك أن تحاسب نفسك ولا تتركها لهواها، وأن تأخذها بالعزائم...

٢- وعليك أن تراقب الله مع أنفاسك وفي سلوكك وأعمالك لتكون موافقة لآداب وأخلاق الذاكرين...

٣- وعليك بصحبة أهل المحبة والخشية والذكر والاستفادة من توجيهاتهم ونصائحهم وأنظارهم...

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٧٤).

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله: (من الخشية تكون المحاسبة، ومن المحاسبة تكون المراقبة، ومن المراقبة يكون دوام الشغل بالله، فإن أغبط الناس في زماننا مؤمن عرف زمانه، وحفظ لسانه، ولزم شانه، وكان من الصالحين. **قلت** لسيدي عبد الملك الخرنوتي أوصني: قال لي: **يا أحمد ملتفت لا يَصِل، ومشكِّك لا يُفلح، ومن لم يَعرف من نفسه النقصان فكل أوقاته نقصان...** ثم زُرْته في السنة الأخرى فقال لي: **يا أحمد ما أقبح العلة بالأطباء، والجهل بالألبّاء، والجفاء بالأحباء)** [1] .

واعلم أن الخوف من الله تعالى يتولد من المحاسبة والمراقبة، ومن الخوف يتولد السعي والاجتهاد . **يقول النبي** ﷺ: «من خَافَ أَدْلَجَ وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ» [2].

قول

ويُروى عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه **أنه قال:** (حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قبل أَنْ تُحَاسَبُوا وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ وَإِنَّمَا يَخِفُّ الْحِسَابُ يوم الْقِيَامَةِ على من حَاسَبَ نَفْسَهُ في الدُّنْيَا) [3] .

إذا ربحت محبة الله .. ربحت كل شيء ..

إذا صرتَ محبوباً عند الله مَن الذي يربح أأنت أم الله؟ حتماً أنت الرابح. **يقول ابن عطاء السكندري في الحِكَمْ:** (ماذا وَجَد من فقَدَك، وما الذي فقدَ مَن وَجَدَك، لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خَسر من بَغَى عنك متحوَّلا) [4] .

قول

(١) البرهان المؤيد ص ٥٦.

(٢) أخرجه الترمذي، (٦٣٣/٤)، وقال عنه : هذا حديث حسن غريب.

(٣) أخرجه الترمذي، (٦٣٨/٤).

(٤) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة ص٤٧٦.

إذا أحبك الله وَهَبَك السعادة طيلة حياتك، فتصبح من أهل السعادة، وتصبح من أهل التوفيق، وتصبح من أهل البركة، ولن تقتصر السعادة عليك، فلسوف تسعد، ويسعد الناس بك.

شعر

وإذا سخَّر الإله أُناساً لسعيد فإنهم سعداء

فائدة

إن الذي يصحب السعداء يسعد بصحبتهم، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، ولا يستوحش أنيسهم...
والذي يلازم أصحاب القلوب الذاكرة، ويستقيم مع الله، يتأثر بعلمهم وورعهم وأنوار قلوبهم، فتشمله عناية الله تعالى....

انظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ، ماذا حلَّ بهم؟ وماذا حصَّلوا من هذه الصحبة؟ لقد صاروا أسعد الناس على وجه الأرض، وليس ذلك في حال حياتهم فحسب، بل بعد مماتهم أيضاً، وليس في الدنيا فقط بل في الدنيا والآخرة، وليس في زمن عيشهم فقط، بل فيه وفيما بعده، لقد رفع الله تعالى لهم ذكرهم بين الناس في الدنيا، مع المحبة، والتبجيل، والتقدير...

هل الذكر ضروري للدعاة؟؟

هل الذكر ضروري للدعاة؟ الجواب: نعم، فما الدليل على ضرورة الذكر للدعاة؟ هناك دليلان في القرآن الكريم على ذلك:

الأول: بحق سيدنا موسى وهارون عليهما السلام.

الثاني: بحق نبينا محمد عليه الصلاة والسلام .

الدليل الأول: خاطب رب العزة كلاً من سيدنا موسى وهارون قائلاً

لهمـــا: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [سورة طه].

فائدة

إذا كان رب العزة مؤيداً لك... إذا كان رب العالمين ناصراً لك...

إذا كان رب العالمين يدعمك ويتولاك...

فممن ستخاف...؟!.

إذا كان الله عز وجل معك فهل تخاف؟ وممن ستخاف؟ ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾، ولكن ما الذي سبق هذه المعية حتى وُهِبَا هذا التأييد؟ إن الذي سبق هو: ﴿ وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴾، ماذا يعني ذلك؟ أكان ذكرهم قليلاً أم كثيراً؟.

مسؤولية الدعوة تحتاج إلى مدد إلهي...؟!!

وإن الدليل الثاني: من القرآن الكريم وهو في سورة المزمل عندما خاطب رب العالمين نبينا محمداً ﷺ قائلاً: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾[سورة المزمل] .

إذا أردت أن تتحمل مسؤولية الدعوة فسوف تحمل مهمة كبيرة وثقيلة، وأمانة عظيمة لا تستطيع أن تحملها بنفسك، فأنت بحاجة إلى مدد إلهي.

تحتاج إلى ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، عليك أن تتهجد، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة السجدة]. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الزمر].

تحتاج إلى خلوة، تحتاج إلى التهجد وقيام الليل: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦﴾ [سورة المزمل].

هذه الليلة – إن شاء الله تعالى – ستسمع الملائكة أصواتكم وهي تضرع إلى الله عز وجل بالدعاء والالتجاء إلى الله تعالى في السجود في الثلث الأخير من الليل.

فائدة

العبادة في الليل ذات تأثير قوي وعميق في قلب المتعبد..
لذا يجب ألاّ تفوتك ..
وعليك أن تجتهد..وتحرص على قيام الليل..

من أين تأتي البركة؟!.. ومن أين تأتي الولاية؟!.. ومن أين يأتي التأييد الإلهي؟.. هل يأتي من كثرة النوم!؟ لا يأتي من كثرة النوم إلا زيادة الغفلة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾ [سورة المزمل].

لمن هذا الخطاب؟ هو للنبي عليه الصلاة والسلام، فإذا طُلب من النبي عليه الصلاة والسلام أن يذكر اسم الله فأي أمر عظيم هذا، ما هو اسم الله؟. الله جل جلاله..عليك أن تستغيث..يا الله..وأن تذكر اسم الله تعالى اقتداء برسول الله ﷺ .

الخلوة والاعتكاف ...

قالت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها وأرضاها: «كان النبي ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ على كل أَحْيَانِهِ »[1]. هو مع الله دائماً، ماذا فعل في غار حراء؟

(١) أخرجه مسلم، (٢٨٢/١).

كانت أوقاته خلوة مع الله تعالى...هل كان يقرأ هنالك كتاب (مغني المحتاج) أو (شذور الذهب)؟!!. أم ماذا كان يفعل؟!.. مغارة في جبل، تحتاج لتصل إليها من أسفل الجبل قرابة خمس وأربعين دقيقة، كيف كان النبي يمكث وحده؟ ماذا كان يفعل هناك؟ الأرض من التراب والجدران من الصخر..

ماذا كان يفعل النبي عليه الصلاة والسلام في تلك (الليالي ذوات العدد)؟. كان يذكر الله تعالى خالياً ويتفكر في خلق السماوات والأرض...

وذكرت ذلك السيدة عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ: «ثُمَّ حُبِّبَ إليه الْخَلاءُ وكان يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيه وهو التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قبل أَنْ يَنْزِعَ إلى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إلى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا حتى جَاءَهُ الْحَقُّ وهو في غَارِ حِرَاءٍ» (١).

ادخل مدرسة غار حراء قبل أن تبدأ بالدعوة ...

يمكن أن يقول أحدهم: «لم يكتب ذلك في كتب الفقه!»، لم يكتب بأنه من يريد أن يصبح عالماً ربانياً، يجب أن يدخل في مدرسة غار حراء!!.

صحيح بأنه لم يكتب ذلك في كتب الفقه، ولكنه ورد بنفس المضمون تحت باب الاعتكاف، ومن يدرس حياة الأئمة أصحاب المذاهب يرى ويتحقق بأنهم كانوا من الذاكرين السالكين المتهجدين..كانوا من أصحاب القلوب.. كانوا من كبار العارفين..

قول

يقول الحصكفي: (إن أبا علي الدقاق قال: أنا أخذت هذه الطريقة من أبي النصر أباذي، وقال أبو القاسم: أنا أخذتها من الشبلي، وهو من

(١) أخرجه البخاري، (١/٤)..

السري السقطي، وهو من معروف الكرخي، وهو من داود الطائي، وهو أخذ العلم والطريقة من أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه، وكل منهم أثنى عليه وأقر بفضله) [١].

وصية

إذا أردت أن تصبح داعياً، فعليك أن تدخل في مدرسة غار حراء، ومعنى ذلك أن تخصص وقتاً لتخلو بالله منفرداً، أو مع الجماعة، وأن لا يكون في قلبك شيء... إلا ... ذكرَ الله عز وجل.

يجب أن تخلو بالله تعالى ، وليس المطلوب منك أن تذهب إلى الجبل، فمن الممكن أن تخلو أو تعتكف في المسجد، ففيه كثير من وسائل الراحة، اخلُ في بيتك، في غرفة هادئة من غرفه.

من عرف نفسه عرف ربه ...

فائدة

من عرف نفسه عرف ربه، ومن عرف ربه أحبه وعشقه وتوله به، واستحيا من نظر الله إليه...

أوحى الله إلى داود عليه السلام: (ألا من عرفني أرادني وطلبني، ومن طلبني وجدني، ومن وجدني لم يختر علي حبيباً سواي) [٢].

قول

قال الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله: (من أحب الله علَّم نفسه التواضع، وقطع عنها علائق الدنيا وآثر الله تعالى على جميع أحواله واشتغل بذكره ولم يترك لنفسه رغبة فيما سوى الله تعالى) [٣].

(١) الدر المختار ١/٥٨.

(٢) البرهان المؤيد ص ٤٩.

(٣) البرهان المؤيد ص ٥٩.

ماذا عنك. . . ؟!!

وأنت يا من تريد أن تصبح من كبار العارفين، وتُعلِّم الناس أحكام هذا الدين وتدلهم على الله، أين محبتك لله؟ كيف حال تعلّق قلبك بالله؟ أين انجذاب روحك إلى الله؟ إذا طلب الله تعالى من رسوله ﷺ: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ۝٨﴾ [سورة المزمل]. والتبتل هو الذكر مع الانقطاع إلى الله تعالى...فأين ذكرك؟..

انتبه

إذا لم تذكر لن تصبح داعياً إلى الله...

وصدِّق بأنك لن تستطيع أن تدعو حتى نفسك...

حتى نفسك لن تستقيم على منهج الله تبارك وتعالى حتى تدخل في مدرسة الذكر، مدرسة العشق والحب لله تعالى...

أهم شرط لنجاح الداعي هو ...؟!

إن أهم شرط يحتاجه الدعاة، لبلوغ أعلى مقامات الدعوة والدلالة على الله تعالى، هو **الدخول في مدرسة الذكر**، هذا أهم ما تحتاجه أيها الداعي حتى تنجح في دعوتك إلى الله وحتى تؤثر في الناس.

قد يتخرج أحد الطلاب في كلية من كليات الدراسات الإسلامية، وهو لم يدخل في مدرسة الذكر، ولم يتعلم الخلوة مع الله، فانظر إلى تأثر الناس به، ستجد أن الناس لا يتأثرون بكلامه، وأن قدرته على التأثير فيهم ضعيفة، جاذبيته ضعيفة؛ حتى بعد اعتلائه المنبر يعيش ويموت ونفعه قليل، حتى الذين يحضرون خطبه غالبهم يستمعون ثم يذهبون من غير نفع يذكر.

سبع خصال لابد منها لطالب العلم ...

قول

لذلك قالوا: إن طلب العلم يحتاج إلى سبع خصال: أولها السؤال والصمت، ثم الاستماع، ثم التفكر، ثم العمل به، ثم طلب الصدق من نفسه، ثم كثرة الذكر على أنه من نعم الله، ثم ترك الإعجاب بما يحسنه.

شيء غريب ...؟!!

حَكَى لي أحدهم بأنه يحضر في أحد المساجد بمنطقة اصطياف، قال لي: «عندما أدخل إلى الجامع وأنظر إلى الناس أرى بعضهم نياماً، يتكلم الخطيب مع نفسه فوق المنبر وبعض الناس نائمون...» لا يوجد أي تفاعل، التفاعل معدوم.

في حين اجتمعتُ مع شخص من أقاربي فقال لي: لم يكن لي صلة بأحدٍ من العلماء، إلى أن حضرت دروساً لشيخٍ في رمضان فأحببته وتعلقت به، وصرتُ في كل يوم أصل إلى بيتي عند صلاة المغرب – في الديماس – فأتناول طعام الإفطار بسرعة وأركب السيارة وأرجع إلى دمشق إلى الجامع الذي يُدَرِّس فيه هذا الشيخ. قال لي هذا الشخص بأنه التزم شهر رمضان بكامله ولم ينقطع عن الدرس على الإطلاق، فما هو الجاذب الذي أتى به من منطقة بعيدة إلى هذا الجامع؟ في حين هناك شخص آخر لم يستطع أن يجذب أو يسترعي انتباه الناس ممن هم بجواره.!؟.

أربعة أشياء تجعلك مؤثراً في الناس ...؟

فائدة

١- إذا أكثرت من ذكر الله تعالى يصبح تأثيرك في الناس قوياً..

٢- إذا اتقيت الله يصبح تأثيرك في الناس قوياً...

٣- إذا اعتنيت بعلومك ودراستك وأصبحت موسوعياً في المعارف يُقبل عليك الناس...

٤- إذا كنت قدوة حسنة.. أحبك الناس.

إذا اعتنى الداعي إلى الله تعالى بنفسه وكان من الذاكرين والعاشقين المحبين لله فسوف يعشق الناس مجالسته وتهفو أفئدتهم إليه.

قول

يقول سيدنا علي رضي الله عنه: (من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلِّمُ نفسه ومهذبها أحق بالإجلال من مُعلِّم الناس ومهذبهم) (١).

القضية ليست قضية أشخاص...

هذه ليست قضية شخص بعينه، هذا أمر يمكن أن يفعله أي شخص منكم، لكن بشروط، الشروط التي يدلك الله عليها أبرزها:... **شرط:** ﴿ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴾، **شرط** ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ **شرط** ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝٧٩ ﴾[الإسراء]. **شرط** ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ۝٨ ﴾**شرط** ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق]. **شرط:** ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ۝١١٤ ﴾ [سورة طه] **شروط** تصحيح النية والإخلاص والتقوى والورع والحياء من الله تعالى .. بعد ذلك يعلمك رب العالمين: ﴿ وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ۝٦٥ ﴾ [سورة الكهف]. وذلك ليس خاصاً بالأنبياء فقط، فرب العالمين قد فتح الباب وقال: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝٢٨٢ ﴾ [البقرة] فالله يعلمك، ويفيض عليك من العلوم اللدنية.

قول

قال أبو سليمان الداراني: (إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام، جالت في الملكوت ورجعت إلى صاحبها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالمٌ

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ٤٨/١.

علماً)[1]، إن الله تعالى يفيض عليك من المعاني ما لا يخطر على بال أحد، كل واحد منكم يمكن أن يصبح من كبار الدعاة إلى الله، لكن بشروط، فهل أنتم مستعدون؟!.

هل أنتم مستعدون لأداء الثمن، «ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ ألا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ»[2]. إنك تطلب أمراً كبيراً، أمراً خطيراً، يجب أن تؤدي الثمن، لن تحظى به من دون ثمن، وثمنه السلوك إلى الله، بالصدق ، و الإنابة، والإخبات، والخشوع في الصلاة...

اعتن بصلاتك...

لماذا تهمل صلاتك ولا تعتني بها؟ تبدأ بالصلاة وتنهيها ولا تعلم ماذا قرأت، رغم أنك تستطيع ذلك إذا أردت؛ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [سورة طه]. اجعل الصلاة في حالة إقامة كاملة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، بالخشوع، اعتنِ بها، فكل شيء يمكن أن تحصل عليه . بمشيئة الله تعالى . بالاعتناء والإرادة والعزيمة والتدريب.

فائدة

درِّب نفسك... اعزم ... صلِّ صلاة مودع ... صلِّ صلاة خاشع.... صلاة لا شرود فيها مطلقاً..اجتهد بالخشوع .. بحضور القلب مع الله...

سألتْ عائشة رضي الله عنها، رسول الله ﷺ عن التفات الرجل في الصلاة فقال: «اخْتِلاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ من صَلَاةِ الْعَبْدِ»[3].

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ص٤٠٣.

(٢) أخرجه الترمذي، (٦٣٣/٤). وقال حسن غريب.

(٣) أخرجه البخاري، (٢٦١/١).

(السلام عليك أيها النبي) يقولها وهو شارد! كيف سُيقبل منه...إذا شردت أعد مرة أخرى: (السلام عليك أيها النبي)، حتى تُسلِّم على رسول الله ﷺ قولاً وحالاً، كأنك تُلقي عليه السلام وأنت بين يديه.

قول

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه يعظ ابنه:

(يا بني إذا صليّت فصلِّ صلاة مُودِّع، لا تظن أنك تعود إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين، حسنة قدَّمها، وحسنة أخَّرها، وإنك تجالس قوماً لا محالة، يخوضون في الحديث، فإذا رأيتهم غفلوا فارغب إلى ربك عند ذلك رغبات) (١).

هل تريد أن تصبح من أولياء الله تعالى ..؟!!

هل تريد أن تصبح من أولياء الله تعالى؟ هناك من يريد أن يصبح من أولياء الله من غير ذكر، ومن غير تهجد، ومن غير خلوة مع الله، ومن غير صدقات، ومن غير خشوع في الصلاة!!.

تريد أن تصبح من أولياء الله عز وجل وأنت على هذه الحال؟!!؛ وتريد أن تصبح من كبار أولياء الله تعالى، وأنت مُصرٌّ على التمسك بأخلاقك السيئة وبسلوكك وبكسلك وبغفلتك؟..كيف نريد أن نصبح من كبار الأولياء وكل واحدٍ منا متشبّثٌ بجهله وبطالته وسوء أخلاقه..؟!! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [سورة النساء]

فائدة

إذا صرت من الذاكرين لله حقاً، تظهر لك إشارات تدل على أنك من أولياء الله تعالى....

وإذا سُلبت الذكر خسرت هذه الولاية من الله تعالى....

(١) أخرجه أحمد في كتاب الزهد.

قول

يقول ابن قيم الجوزية رضي الله عنه وأرضاه: (الذكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل) [1] . (الذكر منشور الولاية)، فإذا صرت من الذاكرين ارتفع فوق رأسك علم الولاية، فإذا رآك أهل القلوب علموا أنك من أولياء الله.

(الذي من أُعْطِيَهُ اتصل) صرتَ من أهل الاتصال والوصال، وصار قلبك موصولاً بالله عز وجل، صار لك واردات من عند الله عز وجل، صار لك إمداد من عند الله عز وجل . إذا سَرَت الكهرباء إلى المصباح ماذا يحدث؟ . يفيض النور من قلبك الذاكر إلى الناس، فتصبح منوَّراً ومنوِّراً بأنوار الذكر...

أما إذا أبيت أن تدخل في مدرسة الذكر، مُنعت من الذكر، (ومن منعه عزل) تصبح معزولاً عن كل هذا الإمداد الإلهي والعطاء الرباني.

فائدة

وإذا حُجِب القلب عن الله وأصابه العمى وانطمس نوره، فعندئذ لا يرى صاحبه الحقائق ولا يخضع لها ويتبع الهوى فلا يُنْكر باطلاً ولا ينصر حقاً، ولا يستطيع أن يكون داعياً إلى الله تعالى ..

* * * * *

(١) مدارج السالكين ج٢/٤٢٣..

تعهد نفسك في ثلاثة مواضع ...؟

قول

قال حاتم الأصم: (تعهد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عَلَّمتَ فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكَتّ فاذكر علم الله فيك) [1]. **وعن عبادة بن الصامت** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ : «أَفضَلُ إيمانِ المرْءِ أنْ يَعلَمَ أنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ» [2] .

شعر

إذَا مَا خَلَوْتَ الدّهرَ يومَاً فلا تَقُلْ خلوتُ ولكنْ قُلْ علَيَّ رَقِيْبُ

ولا تحسبنَّ الله يغْفُلُ ساعةً ولا أنَّ ما تُخْفي عليْهِ يغيْبُ

ألم ترَ أنّ اليوم أسرعُ ذاهبٍ وأنّ غداً للناظِرِيْنَ قرِيْبُ[3]

هذه قواعد هامة في الذكر و ضرورته وأهميته لمن يريد أن يكون داعياً إلى الله تعالى. جعلني الله وإياكم من الذاكرين الله كثيراً، ومن العاشقين الوالهين بالذكر، ونفع الله بنا وبكم كثيراً من خلقه، وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم. اللهم يا مقلِّب القلوب والأبصار ثَبّت قلوبنا على دينك القويم وصراطك المستقيم.

اللهم إنك قُلْتَ وقولك الحق: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [سورة غافر] . ها نحن بين يديك نستغفرك راجين أن تفيض علينا من رحمتك وجودك وعطائك ما يليق بكرمك.

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ج٢/٣٥٤.

(٢) شعب الإيمان ج١/٤٧٠.

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لأبي حاتم البستي ص٢٧.

اللهم إنا نسألك أن تسلك بنا مسالك الصادقين الذاكرين، وأن تلحقنا بعبادك الصالحين.

اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اجمع بين قلوبنا وبين محبتك وأنوارك، واجمع بيننا وبين الإخلاص والورع، والخشوع والصدق والنية الصالحة، والمراقبة واليقين والتقوى، واعصمنا من غفلة القلب، والمذلة للخلق برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

المجلس الثالث

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس الثالث

- حاجات أربع تلزمك ...؟
- والآن ما هي منزلتك عند الله ..؟!
- عقوبة الإعراض عن ذكر الله تعالى ...
- وصية مختصرة لذكر الله تعالى ...
- من أين يأتي الرزق الواسع ...؟
- ثمرات ذكر الله تعالى ...
- جناحان لطالب العلم لابد منهما ...؟
- فرق واضح بين الذاكر والغافل..؟
- كلام دقيق لأهل القلوب ...
- أنواع الغذاء ...
- علِّموا أولادكم ذكر الله تعالى ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حاجات أربع تلزمك ..؟

قول

لا نزال مع مقولة شيخنا عن الذكر: (وإن من أعظم الدواء لكل أمراض النفس، وأفتك السلاح للتغلب على أهوائها، ولإحياء النفس المطمئنة بالله، هو إدمان ذكر الله تعالى عز وجل مع حضور القلب، ولا أعون للعبد على ذلك مثل الذكر مع الجماعة والاستدامة على ذلك، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يستوحش أنيسهم).

فائدة

أولاً : أنت بحاجة إلى الذكر ...

ثانياً: بحاجة إلى إدمان الذكر ...

ثالثاً: بحاجة إلى الذكر مع الجماعة، مع حضور القلب...

رابعاً: أنت بحاجة إلى الاستدامة على الذكر مع الجماعة...

وقد ذكرنا في المجلس السابق أهمية وضرورة ذكر الله عز وجل بالنسبة للدعاة، واستدللنا على ذلك بقول الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة طه]، وقوله تعالى لسيدنا محمد ﷺ: ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ [سورة المزمل].

والآن ما هي منـزلتك عند الله ..؟!!

وصية

هذه وصية رسول الله ﷺ لنا جميعاً، في الحديث الذي **رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خرج علينا النبي ﷺ، فقال:** «يَا أَيُّها النَّاس، إنَّ للهِ سَرَايَا مِنَ الملائِكةِ تحل وتَقِفُ على مجالسِ الذِّكر في الأرض، فارتَعُوا في رِيَاضِ الجنَّة»، قالوا: وأين رياض الجنة؟، قال: «مجَالسُ الذِّكْرِ، فاغدوا وروحوا[1] في ذِكْرِ الله، وذكروه أنفسكم، مَنْ كَانَ يُحِب أنْ يَعلم مَنْزلته عِنْد الله فليَنْظُر كَيْف مَنْزلةُ اللهِ عنده، فإنَّ اللهَ يُنزلُ العبدَ منْهُ حيثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسه»[2]...

(اغدوا وروحوا في ذكر الله) أي: من صباحك إلى مسائك في كل أعمالك، في سفرك وفي حضرك وفي جميع أحوالك عليك أن تذكر الله عز وجل، اذكر الله على كل حال؛ **كما قالت السيدة عائشة:** «كَانَ النَّبِي ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ على كل أَحْيَانِهِ»[3].

(وذكروه أنفسكم) بذكركم له تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة البقرة]. «مَنْ كَانَ يُحِبُّ أنْ يَعْلَم مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ الله فلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ الله عِنْدَه»، كيف هي منزلة الله عندك؟ إذا كنت ذاكراً له يذكرك، إذا كنت مقبلاً عليه يقبل عليك .. إذا كنت تحبه تصبح محبوباً عنده.

أما إذا غفلتَ عنه ولم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهيه فكيف يكون مقامك عند الله تعالى؟، هل تكون مذكوراً عند الله؟ هل تكون محبوباً عند الله؟ هل تكون مقرباً عند الله؟.

---

(١) الغداة: هي السير من الصباح إلى الظهيرة، والرواح: السير من الظهيرة إلى المساء.

(٢) أخرجه الحاكم، (٦٧١/١). وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد».

(٣) أخرجه مسلم ، (٢٨٢/١).

ورد في الحديث القدسي، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «يقول الله تَعَالَى أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وأنا معه إذا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي وَإِنْ ذَكَرَنِي في مَلأ ذَكَرْتُهُ في ملأ خَيْرٍ منهم وَإِنْ تَقَرَّبَ إلي شِبراً تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعًا وَإِنْ تَقَرَّبَ إلي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إليه بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[1].أنت تذكر الله عز وجل في ملأ بين الناس...والله يذكرك في عالم الملكوت بين الملائكة.

عقوبة الإعراض عن ذكر الله تعالى ..

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [سورة طه]. **كان أحد العارفين يقول:** (كنت أعرف حالتي مع ربي من خُلُقِ زوجتي معي)، أي: عندما لا تكون في حالٍ جيدة مع الله فلن تضطرب منزلتك في الآخرة فقط بل تتغير في الدنيا وفي الآخرة.

فائدة

تأمل وابحث في نفسك عما أخطأت فيه مع الله عز وجل ....
أعد حساباتك فسترى وتكتشف وجود مشكلة .. لعلك غفلت عن الله.
فإذا صار قلبك غافلاً وبعيداً عن الله ...
فستتوجه أمورك من وجهة التيسير إلى وجهة التعسير ...

هذا إن كنت من أهل العناية، أما المستدرَجون البعيدون عن ربهم فإن الله يمدهم في طغيانهم يعمهون؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

والأمر لا يقتصر على خُلق الزوجة، فإذا لم تكن متزوجاً فمن الممكن أن تعرف ذلك من خلق جارك معك.. أو من خلق أخيك معك.. أو من خلق

(١) متفق عليه .

صديقك معك.. وربما يتجلى الأمر معك في سوء حفظك:

شعر

شَـكَوْتُ إلـى وَكِيْـعٍ سُـوْءَ حِفْظِـي فأرْشَـدَني إلـى تَـرْكِ المَعَاصـي

وأخْبَرَنـي بـأنَّ العِلـمَ نُـورٌ ونُـورُ الله لا يُهْـدَى لعَاصِـي

قول

وقال الإمام مالك للإمام الشافعي: (إني أرى الله تعالى قد ألقى عليك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية) [1]. **وفي حديث ثوبان** ﷺ **عن النبي** ﷺ **أنه قال**: «لا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إلا الْبِرُّ ولا يَرُدُّ الْقَدَرَ إلا الدُّعَاءُ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ » [2].

انتبه

إذا وجدت صعوبة في الحفظ.. فاعلم بأن هناك أموراً فيما بينك وبين الله تعالى يجب أن تقوم بإصلاحها..

قول

وقال عبد الله بن الزبير ﷺ: (تقول الحكمة مَن طلبني فلم يجدْني فليطلُبني في موضعين: أن يعمل بأحسن ما يعلمه، ويجتنب أسوأ ما يعمله) [3].

وصية مختصرة لذكر الله تعالى...

اجعل لسانك يعمل بذكر الله حيثما ذهبت، حتى وإن كان وقتك ضيقاً جداً، تستطيع أن تذكر وأنت تمشي، تستطيع أن تذكر وأنت في السيارة. **ففي الحديث عن عبد الله بن بسرٍ، أن أعرابياً قال لرسول الله** ﷺ: إنَّ شَرَائِعَ الإسْلام قَدْ كَثُرَتْ عَلَي، فأنْبِئني مِنْهَا بِشيءٍ أَتَشَبَّثُ به، **قال**: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا من ذِكْرِ اللَّهِ عز وجل»[4].

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن قيم الجوزية ص٨٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه ١٣٣٤/٢.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي، سورة العنكبوت الآية ٦٩، ج٣٧٨/١٣..

(٤) أخرجه الحاكم، (٦٧٢/١) وأخرجه ابن ماجه والترمذي.

هذه صيدلية الإسلام... فيها أدوية كثيرة، لكن هل تتحرى وتتناول من هذه الأدوية لتستفيد منها؟.

من أين يأتي الرزق الواسع...؟

أتحب أن يرفع الله عنك الهمّ والغمّ ويرزقك رزقاً واسعاً؟ أكثر من الاستغفار فقد وَرَد في الحديث **عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال**: «من أَكْثَرَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ جَعَلَ الله له من كل هَمٍّ فَرَجاً وَمِنْ كل ضِيقٍ مَخْرَجاً وَرَزَقَهُ من حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ»(١).

حكاية

حدثني أحدهم فقال: «كنت في بداية طلبي للعلم، وكنت فقيراً ولا أملك شيئاً مما يحتاجه الإنسان لزواجه، ولم يكن لدي سكنٌ ولا عملٌ يعود عليّ بالمال، وكان كل جهدي ووقتي منصبّاً على طلب العلم وحضور مجالس العلم وصحبة الصالحين. وذات مرةٍ استوقفني رجلٌ صالح، فسألني: «هل أنت متزوج؟»، فأجبته: «لا»، قال: «هل تريد أن تتزوج؟»، قلت: «أريد ذلك، ولكن لا أملك ما يساعدني على الزواج!»، فأجابه الرجل: «لا مشكلة في ذلك، أنا أتكفّل لك بجميع نفقات ومتطلبات زواجك من ابنتي إذا أعجبتك!!. أرسل أهلك إلينا»، فذهبوا.. ووافقوا ووافقت.. وتزوجتُ.. ورزقني الله من حيث لا أحتسب!.وكان ذلك الرجل الصالح يخطب لبناته طلاب العلم الصالحين ويساعدهم في شؤون حياتهم».

فائدة

هل يمكن أن تقوم بعمل بر أو معروف من غير أن يكافئك رب العالمين؟!..هذا لا يقع بحال... فهو أكرم الأكرمين .. والمنة لله .. والفضل لله...

(١) أخرجه أبو داود بلفظ من لزم الاستغفار، (٨٥/٢)، وأخرجه أحمد والحاكم في المستدرك، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

قول

قال أبو القاسم القشيري: (من أشار إلى الله، ثم رجع بحوائجه إلى غيره، أفقره الله إلى الخلق، ثم نزع له الرحمة من قلوبهم، ومن شهد محل افتقاره إلى الله ورجع بحوائجه إليه، أغناه الله من حيث لا يحتسب، وأعطاه من حيث لا يرتقب) [1]. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ٤﴾ [سورة الطلاق].

ثمرات ذكر الله تعالى ..

لماذا يجب عليك أن تكثر من ذكر الله؟.

يولِّد الذكر طاقة روحانية ونورانية، تُعين الداعي إلى الله على هداية الخلق ودلالتهم على الله تعالى.

انتبه

إن قراءة العلوم وحدها لا تصنع منك داعياً مؤثراً وناجحاً...تحتاج . فضلاً عن العلم . إلى أمرين: أولهما: تزكية نفسك . لتخليها وتنقيها من عيوبها ورذائلها ... ثم تحليها بفضائل الأخلاق....

والثاني الذكر وصلة القلب بالله عز وجل ...

إن الذين درسوا العلوم الإسلامية على مستوى العالم، يُعدُّون بمئات الآلاف إن لم يكن أكثر فما هي المحصلة؟ وما هي النتائج؟.

ليس كل من تعلّم أكرمه الله تعالى بجعله من العلماء العاملين والعارفين والمحبين والمنتجين، ومن الدعاة الذين يسري أثرهم في عدد كبير من الناس، ولكن الذين تعلّموا وذكروا الله وأحبوا الله، سرى نور الذكر والمحبة في قلوبهم، فأثمرت علومهم ودعوتهم، وأضاءت طريق الهداية للناس.

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص٤٤٠.

جناحان لطالب العلم لابد منهما ...؟

إذاً على كثرة طلاب العلم، قليل منهم من استطاع أن يكون عالماً حقيقياً عاملاً ومخلصاً ومنتجاً، والسبب في ذلك أن الداعي إلى الله يجب أن يكون ذا جناحين، جناح العلم، وجناح الذكر والتزكية.

وكثير من طلاب العلم اقتصروا على العلم دون الذكر، وأنّى للطائر أن يطير بجناح واحد، وكذلك طالب العلم لا يكون منتجاً إلا إذا حقق الاثنين معاً؛ **أولاً**: علم، **ثانياً**: ذكر وتزكية، لذلك أنت بحاجة إلى أن تصل قلبك إلى بتيار الذكر لكي يضيء بنور الله تعالى وتتزكى نفسك. **كان من دعاء النبي** ﷺ : «اللهم آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أنت خَيْرُ من زَكَّاهَا أنت وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا»(١).

ودِيننا كلٌ متكاملٌ لا يقبل التجزئة، وعليك أن تأخذ به كاملاً، ولا يقبل أن تؤمن ببعضه وتترك البعض، وقد حذر الله تعالى أهل الكتاب الذين يفعلون هذا من الخزي في الحياة الدنيا والآخرة فقال عز وجل: ﴿ ...أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة البقرة].

ولقد ورد في صحيح مسلم عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رسول اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ لا يُرَى عليه أَثَرُ السَّفَرِ ولا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حتى جَلَسَ إلى النبي ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إلى رُكْبَتَيْهِ وَوَضَعَ كَفَّيْهِ على فَخِذَيْهِ وقال يا محمد أَخْبِرْنِي عن الإِسْلامِ **فقال رسول اللَّهِ** ﷺ : «الإِسْلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا

(١) أخرجه مسلم، (٤/٢٠٨٨).

الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ ﷺ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إن اسْتَطَعْتَ إليه سَبِيلاً»، قال صَدَقْتَ قال فَعَجِبْنَا له يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ قال فَأَخْبِرْنِي عن الإِيمَانِ **قال**: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، قال صَدَقْتَ قال فَأَخْبِرْنِي عن الإِحْسَانِ **قال**: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنه يَرَاكَ»، قال فَأَخْبِرْنِي عن السَّاعَةِ **قال**: «ما الْمَسْؤولُ عنها بِأَعْلَمَ من السّائِلِ»، قال فَأَخْبِرْنِي عن أمارتها قال: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ»، قال ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ **قال لي**: «يا عُمَرُ أَتَدْرِي من السَّائِلُ»، قلت الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ **قال**: «فإنه جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[1].

١- **فالإسلام**: تتعلق أحكامه بما يجب على المكلف فعله في الأمور العملية من عبادات ومعاملات ... ، وهو فقه الظاهر لِتعلُّقه بالأحكام الجسمانية. وقد تخصص فيه الفقهاء وعبروا عن الأحكام المتعلقة بهذا الباب بالشريعة.

٢- **والإيمان**: تتعلق أحكامه بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر...وقد تخصص فيه علماء العقيدة والتوحيد.

٣- **والإحسان**: تتعلق أحكامه بما يجب على المكلف فعله، لتزكية النفس وترقيتها، وتخليتها من رذائل الأخلاق وتحليتها بمكارم الأخلاق، وحميد الصفات ويبحث في الأمور الروحية والقلبية التي توصله إلى مقام الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك). وقد تخصص فيه علماء التزكية والتصوف الشرعي وعبروا عن هذا العلم بالحقيقة.

(١) أخرجه مسلم، (١/٣٧).

قول

يقول الشيخ أحمد زروق: (فلا تصوف إلا بفقه، إذ لا تُعْرف أحكام الله الظاهرة إلا منه، ولا فقه إلا بتصوف إذ لا عمل إلا بصدق وتوجه، ولا هما إلا بإيمان إذ لا يصح واحد منهما دونه، فلزم الجمع لتلازمها في الحكم كتلازم الأرواح للأجساد، ولا وجود لها إلا فيها، كما لا حياة إلا بها فافهم، **ومنه قول الإمام مالك رحمه الله**: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق) [1].

قول

فكل مسلم بالغ راشد عاقل، مكلف تكليفاً كاملاً لا يقبل التجزئة، أقول مكلف بتنفيذ أحكام الإسلام والإيمان والإحسان على أحسن وجه حتى يكتمل دينه .

فرق واضح بين الذاكر والغافل..؟

إن لم يتصل قلبك بالله فهو ميت في قبر جسدك؛ ولذلك قالوا:

شعر

فَنِسيَانُ ذِكْرِ الله مَوتُ قلُوبِهم ... وأجْسَامُهم قبْلَ القُبورِ قُبورُ

وأرواحُهُم في وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِهم ... وليسَ لَهُمْ حتّى النشُورِ نشُورُ

قلب ميت في قبر الجسد، ميت في كل أيام حياته التي عاشها على الأرض، هو ميت، لا ينتج، لا يعطي، لا ينفع، لا يقدم الخير إلى الناس، وكما قيل أيضاً:

فَنِسيَانُ ذِكْرِ الله مَوتُ قلُوبِهم ... وأجْسَامُهم فهيَ القُبُور الدوارِسُ

وأرواحُهُم في وحْشَةٍ منْ حبيْبِهم ... ولكِنّها عنْدَ الخبيثِ أوانسُ

(١) قواعد التصوف، القاعدة /٤/ص٧.

يستأنس بالأشقياء، وصحبة البعيدين عن الله، يستأنس بالعصاة، إذا قلت له تعال إلى مجالس الذكر والذاكرين حتى تكون مذكوراً عند الله يجيبك أنا مستوحش !.. احذر .. احذر .. لقد قال تعالى بحق الذين لا يؤمنون: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الزمر].

وكما ورد عن النبي ﷺ: «مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»(١). الذاكر حيٌّ، وغير الذاكر ميت ولو مشى بين الناس. إذا كان هذا الأمر يتعلق بالإنسان الغافل فهو ميت، وبيت لا يذكر الله تعالى فيه ميت أيضاً، فبيته قبره.

فائدة

قلب الغافل ميت في قبر جسده... ثم إن الغافل يتمسك بأهوائه وشهواته، وينتقل من هوى إلى هوى، ومن شهوة إلى شهوة، ومن ظلمة إلى ظلمة، حتى يدركه الغرق فيكون من الهالكين...

كلام دقيق لأهل القلوب...

قول

قال الإمام ابن القيم: «الذكر منشور الولاية، الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة ديارهم»(٢).

(منشور الولاية) منشور أي مثل الراية والعَلَم.. إذا كان أحدهم يحمل عَلَماً فهو يظهر من بعيد.

وصية

إذا أحببت أن تكون من أولياء الله.....فأكثر من ذكر الله..

(١) رواه البخاري، (٥/٢٣٥٣).

(٢) مدارج السالكين، ج٢/٤٢٣.

(الذكر منشور الولاية) أي العلامة الواضحة على ولاية الله تعالى لك – الله يتولاك – إذا كان تولاك رب العزة ففي أي سعادة غامرة أنت في الدنيا؟وفي أي سعادة سوف تكون في الآخرة؟

(الذي من أعطيه اتصل) عندما تذكر الله وعندما يكرمك الله بالذكر تصير من الذاكرين وتصبح من أهل الوصال. (ومن منعه عزل) صار معزولاً عن الولاية وعن تولي الله عز وجل له. (وهو قوت قلوب القوم)..

أنواع الغذاء ...

ما هو غذاء البدن؟ إنه الطعام... وما هو غذاء العقل؟ إنه العلم والفكر... وأما غذاء القلب: فهو الذكر.

وصية

إذا أردت أن تصبح عالماً منتجاً ..فعليك أن تتخذ الذكر غذاءً لقلبك وأن تتخذ العلم غذاءً لعقلك ...

فأين غذاء القوم الآن؟ أصبح الغذاء هو اللهو والغفلة وملء البطون وإضاعة الأوقات... فهل هذا هو قوت القلوب!!.

تجد أناسا غارقين في محبة الله، وفي عشق الله، وفي ذكر الله، وفي وصال القلب مع الله، ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة السجدة]، هم يسجدون قبل الفجر يناجون حضرة الله عز وجل، وقلوبهم موصولة – السجود مع الوصال ليس كالسجود بدون وصال – قوت قلوبهم صلة قلوبهم بالله، كثرة ذكرهم لله، عِظَم محبتهم لله... وآخرون غارقون في الشهوات والمعاصي، ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [سورة القلم].

هل يستوي من ملأ حياته بالطاعات والذكر والقربات إلى الله والعلم والاجتهاد والعبادة، مع من كانت حياته كلها ملأى بالغفلات والمعاصي؟ لايستوون عند الله. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الزمر].

(وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقها -أي الذكر- صارت الأجساد لها قبوراً)... مصداقاً لحديث النبي ﷺ.

(ـ والذكر . عمارة ديارهم) إذا دخلت إلى بيت أحد الذاكرين تَجِدْ فيه أُنْساً وطمأنينة وراحة نفسية، لكنك إذا دخلت إلى بيتٍ يُعصى الله فيه تجد قبضاً في صدرك؛ لأنهم عطَّلوا الذكرَ فأصبحت ديارهم بوراً. **كما قال ابن القيم**: (التي إذا تعطلت عنه [الذكر] صارت . ديارهم . بوراً).. لماذا؟ لأن الذاكرين عمروا بيوتهم بذكر الله تعالى فمُلِئَت نوراً، والغافلين ملؤوها بالغفلة والمعاصي فأصبحت بوراً ...

قول

كنا نقيم مجلس ذكر في منزل أحد الإخوة في الستينيات من القرن الماضي فذكر لي أن شقيقته رأت في منامها أن باب بيتهم طُرق، ففَتحَت الباب فوجدت أشخاصاً يلبسون ثياباً بيضاء، وتشعّ منهم الأنوار، وطلبوا منها أن يدخلوا الغرفة التي يذكر فيها أصدقاء أخيها ويتعبدون .. فأدخلَتْهُم، فقاموا بطلاء جدران الغرفة حتى صارت تشع بالأنوار المدهشة!!.

فلما انتهوا وأرادوا الذهاب سألتهم أن يفعلوا ذلك في باقي الغرف فلم يقبلوا، وقالوا لها: «أُمِرْنا أن نفعل ذلك في غرفة الذكر والعبادة».

علِّموا أولادكم ذكر الله تعالى ..

حكاية

عن سَهْل بن عبد الله التَّسْتُري ﷺ **قال:** (كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليلِ فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار، فقال لي يوماً: ألا تذكر الله الذي خَلَقَك فقلتُ كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلُّبك في ثيابك ثلاثَ مراتٍ من غير أن تُحرِّكَ به لسانك:

الله معي... الله ناظرٌ إليَّ... الله شاهدي ...

فقلتُ ذلكَ ليالِيَ، ثم أعلمتُه، فقال: قُل ذلك في كل ليلة سبع مرات، فقلتُ ذلك ثم أعلمتُه، فقال: قُل ذلك كلَّ ليلةٍ إحدى عشر مرةً، فقلتُه، فوقع في قلبي حلاوتُه فلما كان بعد سنةٍ، قال لي خالي:

احفظْ ما علّمتُكَ، ودُمْ عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة، فلم أزلْ على ذلك سنين، فوجدتُ لذلك حلاوةً في سري، ثم قال لي خالي يوماً: يا سهلُ، مَنْ كان الله معه، وناظراً إليه، وشاهده، أيعصيه؟!..إياكَ والمعصيةُ ..) [1].

اللهم اجعلنا من أهل الذكر والقرب والحب...

اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه، اجمع قلوبنا على محبتك وطاعتك ومحبة أوليائك، وخُصَّنا منك بالمحبة والاصطفاء والتولية، وخصنا بالعلم اللدنيّ

(١) ينظر: إحياء علوم الدين ٣/٧٤.

والعمل الصالح، يا مولانا ... يا رجانا ... يا غياثنا اقذف في قلوبنا رجاءك واقطع رجاءنا عمن سواك...

اللهم هيّئ أعمالنا وأرواحنا لصحبة ومرافقة نبيك محمد ﷺ في الجنة، وأنت في أحسن حالات الرضى عنَّا يا أكرم الأكرمين...

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

المجلس الرابع

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس الرابع

- كيف تحصل على النفس المطمئنة ..؟!
- احذر قطاع الطريق ..!!
- ذكر الله يطفئ الحريق ...
- نفاق غريبٌ نوعه ..!!
- الذكر هو المعين ..في كل حين ..
- مشكلة ... وعلاج ..؟!
- التجارة الرابحة بذكر الله تعالى ...!
- دعوة إلى الله أثناء سكرات الموت ..!!
- ذكر الله يولد في القلب السعادة والسرور ..
- بعض صفات أولياء الله تعالى ..؟
- فرقٌ كبير بين الأولياء .. والأدعياء ..

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كيف تحصل على النفس المطمئنة؟!..

قول

ما زلنا مع كلام شيخنا حول ذكر الله تعالى، فكما ورد معنا في المجلس السابق **قول سماحة الشيخ**: (وإن أعظم الدواء لكل أمراض النفس وأفتك السلاح للتغلب على أهوائها، ولإحياء النفس المطمئنة بالله هو إدمان ذكر الله تعالى مع حضور القلب...).

هل تشعر بأهمية تحصيلك النفسَ المطمئنة بالله؟... هل حصلت على النفس المطمئنة بالله؟... هل فكرت كيف تصل لذلك؟...

فائدة

الطريق الوحيد لتصل إلى مرتبة النفس المطمئنة..
هو ذكر الله .. وليس الذكر بالشكل أو الهيئة، بل:
بحقيقة الذكر مع حضور القلب...

(ولا أعون للعبد على ذلك مثل الذكر مع الجماعة والاستدامة على ذلك. فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يستوحش أنيسهم).

احذر قطاع الطريق!!...

وذكرنا في مجلسنا السابق بعض **أقوال ابن قيم الجوزية** في الذكر، واليوم نتابع معه **حيث يقول**: (وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطرق)[1].

هل تعلم أيها السالك في طريق الذكر وطريق محبة الله، أن هناك من يتربص بك ويترصّدك من شياطين الإنس والجن ليقطعوك عن طريق محبتك، وعن فوائد صحبتك للذاكرين المحبين؟!.. احذرهم!!.. فلَهُم حِيلٌ كثيرة وأساليب ماكرة ليقطعوا حبل ودادك ووصالك.

احذر

احذرهم... فقد يمكرون بك بأفكارهم الخبيثة ويزيّنُون لك المنكر، بل يجعلون من المنكر معروفاً، ومن المعروف منكراً، بل يأمرونك بالمنكر وينهونك عن المعروف، فإياك وصحبتهم... إياك ومجالستهم... إياك ومشاركتهم برامجَهُم ونشاطاتهم؛ واصحب أصحاب القلوب الذاكرة ولازمهم، كما **قال القائل**:

شعر

أَخِي كُنْ لأصْحَابِ القُلوبِ ملازماً ... وفي حُبِّهِمْ حصَّل لكَ القلْبَ سالمًا

وكما يقول سيدنا علي رضي الله عنه:

وصاحِبْ تقِيّاً عالماً تنْتَفِعْ بِه ... فصُحْبَةُ أهلِ الخيرِ تُرجَى وَتُطْلَبُ

وإيّاكَ والفُسَّاقَ لا تَصْحَبَنَّهُم ... فَصُحْبَتُهُمْ تُعْدِي وذاكَ مُجَرَّبُ

واحْذَر مُؤاخَاةَ الدَّنيء فإنَّهُ ... يُعدِي كمَا يُعْدي الصَّحيْحَ الأجْرِبُ

واخْتَر صديقَكَ واصطَفِيهِ تفاخُراً ... إنَّ القرينَ إلى المقَارنِ يُنسَبُ

(١) مدارج السالكين (٢/٤٢٣).

ذكر الله يطفئ الحريق ...

قول

يقول ابن القيم عن الذكر: (وماؤهم الذي يُطفئون به التهاب الحريق)، حريق قلوبهم المشتاقة إلى بارئها والمتولهة به حباً وشغفاً...

فائدة **لا يطفئ القلب الملوع بحب الله تعالى .. إلاّ ذكر الحبيب ورضاؤه...**

(-الذكر- ودواء أسقامهم، الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب).

شعر

إذَا مَرِضْـــنَا تَـــدَاوينَا بِـــذكرِكُمُ ونَتْـرُكُ الـذِّكْرَ أحيانَـاً فَنَنْـتَكِسُ

نفاقٌ غريبٌ نوعه !!..

عن حَنْظَلَةَ الأُسَيِّدِيِّ قال وكان من كُتَّابِ رسول اللَّهِ ﷺ قال: لَقِيَنِي أبو بَكْرٍ، فقال: كَيْفَ أنت يا حَنْظَلَةُ، قال: قلت: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قال: سُبْحَانَ اللَّهِ ما تَقُولُ، قال: قلت: نَكُونُ عِنْدَ رسول اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حتى كَأَنَّا رأي عَيْنٍ، فإذا خَرَجْنَا من عِنْدِ رسول اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا، قال أبو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هذا، فَانْطَلَقْتُ أنا وأبو بَكْرٍ حتى دَخَلْنَا على رسول اللَّهِ ﷺ ، قلت: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يا رَسُولَ اللَّهِ، **فقال رسول اللَّهِ** ﷺ: «وما ذَاكَ»، قلت: يا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حتى كَأَنَّا رأي عَيْنٍ، فإذا خَرَجْنَا من عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، **فقال رسول اللَّهِ** ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بيده إن لو تَدُومُونَ على ما تَكُونُونَ عِنْدِي وفي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلائِكَةُ على فُرُشِكُمْ وفي طُرُقِكُمْ وَلَكِنْ يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلاثَ مَرَّاتٍ»[1].

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٠٦) .

الذكر هو المُعِينُ في كل حين ...

قول

ويقول الإمام ابن القيم: «به يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات، إذا أظلَّهم البلاء فإليه مَلجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم»[1]؛ إذا أردت الخلاص من آفات القلب فعليك بذكر الله.. إذا أردت الخلاص من آفات اللسان فعليك بذكر الله.

الذكر ملجأ الذاكرين ومفزعهم، إذا أصابتهم مصيبة ذكروا الله واسترجعوا، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [سورة البقرة].

فتطمئن قلوبهم وتسكن وترتاح وتستأنس أرواحهم بواردات الذكر، وتتقوى فيتغلبون على ما يواجههم من صعوبات وكربات ومصيبات ويقهرونها بذكر الله الذي يستمدون منه العون والمدد والقوة.

انتبه

إذا كنت ذاكراً لله عز وجل .. تصبح قدرتك على تحمل الصعوبات ومواجهتها عالية جداً ... لأنك تتحمل بالله... ولأنك تواجه صعوبات الحياة بالله ... وتخالط الناس بالله ... ولا تدخل عليهم بنفسك ..!!

مشكلة ... وعلاج ..؟!!

قول

يقول الإمام ابن القيم: (فهو ـ الذكر ـ رياض جَنَّتهم التي فيها يتقلبون)، كيف يعيش الناس الآن!؟ وكيف صارت أحوالهم!!؟ هناك أناس سكارى غارقون بمستنقعات المعاصي... وبالمقابل هناك من هو غارق بمحبة الله

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٢٣).

ووصاله والأنس به وطمأنينة القلب بذكره، حتى أصبح هذا فيه طبيعة لا تكلفاً، (فهو رياض جنتهم التي فيها يتنعمون وفيها يتقلبون).

هل تأنس بذكر الله؟ هل وجدت حالةً من الأنس؟ هل وجدتَ حالة طمأنينة عندما تذكر الله عز وجل؟ أم أنت مُمزّق مُشتت!؟ لا تشعر بسرور ولا براحة..

إذا لم تشعر بسرور ولا براحة في الذكر، ولم ترتق أكثر ولم تشعر بأنس وطمأنينة بالله.. فإنما ذلك **لمشكلة خفية** – أو ظاهرة – لديك، **والعلاج**: اذهب لأستاذ الذكر ليساعدك على حل هذه المشكلة.

فائدة

الذاكر يعيش نهاره وليله في رياض الجنة يتقلب في النعيم .. والغافل يعيش في نار الألم والتمزق والقلق والجزع ...

عن أنس بن مالك ﷺ، **قال: قال رسول الله** ﷺ: «إذا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ فَارْتَعُوا قال: وما رِيَاضُ الْجَنَّةِ قال حِلَقُ الذِّكْرِ»[1].

التجارة الرابحة بذكر الله تعالى..!!

قول

ويقول ابن القيم عن الذكر: (ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون)، فتجارة الذاكرين من واردات ذكرهم، فإذا ما عملوا بالدعوة لم تكن دعوتهم بألسنتهم فقط.. بل بلسان يمدّه قلب ذاكر. ويمكننا أن نلحظ ذلك بشكل واضح عندما تجد خطيب جمعة يحضر خطبته أربعة أو خمسة صفوف فقط! وبعضهم نائم!!..

(١) أخرجه الترمذي (٥/٥٣٢). وهو حديث حسن.

وتجد خطيباً آخر ليس أبرع من سابقه في الإلقاء والأداء، ولكن تجد في خطبته حضوراً روحياً كبيراً.. ذاكراً لله.. يلهمه ربه أن ينطق كل كلمة في مكانها لتصل إلى المحتاجين إليها، ثم بعد شهر أو شهرين ترى الجامع قد امتلأ عن بكرة أبيه.

هذا رأس المال، وهذه هي التجارة الرابحة التي يملكها الذاكرون؛ إذا لم يكن هناك ذكر فمعنى ذلك أنه لا يوجد رأس مال... ولا يوجد تجارة رابحة... أي أنه لن يكون هنالك إنتاج.

وصية **أيها الأخ الداعي: لابد لك من الإكثار من ذكر الله ....**

هذه هي وصية شيخنا، أكثروا من ذكر الله، يجب أن تكون مجالسنا ذكراً، يجب أن تكون دعوتنا ذكراً، يجب أن تكون حياتنا ذكراً.

كان سماحة شيخنا رحمه الله ينبه الإخوة دائماً على أن العلم بلا طريق – أي بلا ذكر ولا سلوك ولا تزكية– لا يُثمِر.

فما الحال الذي ينبغي أن تكون عليه مجالسنا وتوجيهاتنا؟ ينبغي أن يكون المجلس مجلس تربية وتزكية للنفوس وللأخلاق.

دعوة إلى الله أثناء سكرات الموت ..!!

موقف

كان شيخنا يحث الأخوان دائماً على الدعوة إلى الله تعالى، فمنذ أعوام الستينيات كان يحثّ كل أخ لكي يلتقي كل يوم بشخص جديد فيدله على الله ويُعرّفه بالله، وينقل له خلاصة الدرس الذي سمعه عملاً **بقول النبي** ﷺ : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً وَحَدِّثُوا عن بَنِي إِسْرَائِيلَ ولا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ من النَّارِ»[1]،

(١) أخرجه البخاري (٣/١٢٧٥).

وقولـه: «نَـضَّرَ الله امْـرَأً سمـع مَقَـالَتِي فَوَعَاهَـا وَحَفِظَهَـا وَبَلَّغَهَـا فَـرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إلى من هو أَفْقَهُ منه...» [1] .

وحتى عند مرض الشيخ كان همه الدعوة إلى الله تعالى، ففي مرضه الأخير اشتد عليه الداء، فنقل إلى غرفة العناية المشددة في مشفى دار الشفاء، وصار يصحو تارة ويغفو أخرى في سبات، وعندما استيقظ مرة وجد أمامه أحد الأطباء فدعاه إلى حضور درس يوم الجمعة، ثم غاب عن الوعي، واستيقظ مرة أخرى فتابع حواره ودعوته للطبيب وطلب منه أن يأتي بورقة وقلم، وأراد أن يُعلّم الطبيب أبياتاً من الشعر ليحفظها، فلقّنه الأبيات التالية:

شعر

إنَّ الطَّبيـــــبَ بِطِبِّـــــهِ ودَوائِـــــهِ ... لا يــستطيعُ دفــاعَ مَقْــدُورٍ أتــى

مَـا للطبيـبِ يمـوتُ بالـداءِ الـذي ... قـد كـان يُبْـرِئُ مثلـه فيمـا مَـضَى

هَلَـك المُـدَاوِي والمُـدَاوَى والّـذي ... جَلَـبَ الـدَّواءَ وبَاعَـهُ ومَـنِ اشْـتَرى [2]

وطلب من الطبيب أن يحفظها وأن يعيد قراءتها ليسمعها منه، فلما وصل إلى البيت الثاني، أخطأ، فصحّح له الشيخ كلامه، وطلب منه أن يعيد قراءتها فأعادها، فلما فرغ طلب منه أن يُعلّمها لزملائه من الأطباء.

دعاه إلى الله، ودفعه إلى أن يدعو إلى الله، دعاه إلى درس الجمعة، وعلمه وحفّظه هذه الأبيات، ووجّهه إلى أن يوصل هذه الأبيات إلى زملائه الأطباء، وأن يـدعوهم أيـضاً لحـضور درس الجمعـة، لقـد كانـت دعـوة إلى الله أثنـاء سكرات الموت!!... فأين عملنا في الدعوة إلى الله؟!.. لم لا تفكر بأن تدعو

(١) أخرجه الترمذي (٥/٣٤).

(٢) أبو العتاهية، أشعاره وأخباره ص١٨.

إنساناً إلى الله؟ لماذا لا تستطيع ذلك حتى لو فكرت؟.

فائدة

الدعوة في الواقع ليست مجرد فكر .. أو علم .. أو خطة لمشروع تستطيع تنفيذه بمهاراتك الخاصة...إنها: أكثر من ذلك بكثير ...!!

إنَّ الدعوة مخاطبة للعقل والقلب ...

فالعقل يخاطبه العقل العَالِمُ... والقلب يخاطبه القلب الذاكر ...

هنالك كثير ممن ينتظر من يرشده إلى الله، انظر إلى حال الناس وحال المجتمع، وحال البيوت المخفية معاناتها وراء الأبواب، فلو عملنا بالدعوة بكل طاقاتنا، لا نستطيع أن نؤدي حق الدعوة إلى الله بالنسبة إلى المجتمع، إنه بحاجة ماسة إلى أكثر من ذلك!.

وفي هذا المسير العسير – إلا على من جعله الله عليه هيناً . يكون الذكر رأس مالك الذي فيه تتاجر، وفيه تؤثر، وفيه تدعو، وفيه تنشر الخير، وفيه تنجح بإذن الله تعالى.

ذكر الله يولد في القلب السعادة والسرور..

لو لم يقدم لك الذكر إلا هذه الخدمة فينبغي أن تكون من كبار الذاكرين لله، أَيَسُود السرور ما حولنا من الأجواء؟ أم أن الغالب هو الحزن؟ ذكر الله تعالى هو الذي يعينك على تحمل الصعوبات ويجعلك مستبشراً مسروراً، فترى الناس في ضيق وحزن، وتكون في حالة سكينة وطمأنينة؛ تجد المصاعب تقهر الناس وتحطم آمالهم، أما أنت فلا يحطم إرادتك شيء، يضعف الناس عن نصرة الحق، وتبقى أنت – أيها الذاكر لله – لا تضعف عن نصرة الحق مهما اشتدت المحن والأزمات وكبرت الصعوبات، تظل مناصراً للحق حتى آخر نفس من أنفاسك... وتجد كل ذلك سهلاً عليك، فهو يسير على من يسره الله عليه، وهذا التيسير يكون بذكر الله تعالى.

قول

يقول ابن القيم: (. والذكر . يدع القلب الحزين ضاحكاً مسروراً، ويوصل الذاكر إلى المذكور، بل يدع الذاكر مذكوراً)؛ أي تصبح أنت المذكور.. عند مَن؟ عند الله عز وجل؛ ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ﴾ [سورة البقرة].

بعض صفات أولياء الله تعالى ..؟!!

ثم قال: «وفي كل جارحة من الجوارح عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة، بل هم يأمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل حال قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم).

ينبغي أن يصلوا إلى مرحلة يصبح الذكر لديهم حالاً مرافقاً بلا تكلف، فيكونوا في حالة ذكر مع الله تعالى ولو لم يكونوا في مجلس الذكر، وهؤلاء هم أولياء الله ..

وصية

إذا أردت أن تتعرف على أولياء الله ...

فابحث عن الذاكرين لله تعالى حقيقة الذكر ... وليس شكل الذكر...الذكر الذي يجعلهم يقفون عند حدود الله تعالى... فيأتمرون بأوامره... وينتهون عن نواهيه... ويلتزمون بضوابط الشريعة المطهرة.. ويقيدون ألفاظهم بالشرع...

وبما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام... أولياء الله يتأدبون مع الله تبارك وتعالى، فلا يشهدون لوجودهم وجود، فنيت حظوظهم، وبقيت تعلقاتهم بمحبوبهم، ووصلوا إلى مقام الشهود، لا إله إلا الله، فلا يضر وينفع، ويعطي ويمنع، ويصل ويقطع، ويفرق ويجمع، إلا هو سبحانه وتعالى. لقد تحققوا بصفاء ونقاء التوحيد كما علمهم رسول الله ﷺ.....

إذا وجدت هؤلاء، فاعلم أنهم أولياء الله...

فلازمهم ... وصاحبهم ... وتعلم منهم...

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خَلْفَ رسول اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فقال: «يا غلام إني أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احفظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إذا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وإذا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لو اجْتَمَعَتْ على أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لم يَنْفَعُوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله لك وَلَوْ اجْتَمَعُوا على أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لم يَضُرُّوكَ إلا بِشَيْءٍ قد كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ رُفِعَتِ الأَقْلامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ» (١) .

فرقٌ كبيرٌ بين الأولياء... والأدعياء..!!

قول

يقول العالم الرباني الشيخ محمد بشير الباني: (ثمة أناس قيدوا مجاهدتهم بالقرآن الكريم والسنة المشرفة، كما قيدوا التعبير عن أحوالهم بما نطق به الشرع المبين، فحازوا قصب السبق فيما نالوه من مراتب الولاية والسير في طريق جهاد النفس والهوى، وكانوا بحق قد حصلوا على مراتب من محبة الله عز وعلا، ومن محبة رسوله الأمين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم، ونالوا مواهب ربانية وعلوماً لدنية في العلم والمعرفة، فاستحقوا وصف الواصف لهم: هم ورثة رسول الله ﷺ لما نالوه من التقيد بألفاظ الشرع والتقيد بالسنة النبوية، مع تذوقهم الحقائق على حسب درجاتهم ومراتبهم، فهؤلاء الذين ينطبق عليهم كلمة ولي الله، **وأولياء الله.**

نال الأولياء عندما استقاموا على هدى الله وسنة رسوله أن تحققوا بحقائق الإقبال على الله، فكان أحدهم رباني العلم، نوراني القلب، شاكراً لله في نفسه

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦٦٧) .وقال: حديث حسن صحيح.

بالسر والإعلان، ذاكراً الله بالقلب واللسان، مستقيماً على صدق العبودية، لا يرجو غير الله، متابعاً لسنة المصطفى ﷺ وأخلاقه الشريفة، مستأنساً بالله في جميع الأحوال، منقطعاً إليه في جميع الأعمال، هو وأمثاله نالوا قسطاً وافراً من العلوم الإلهية والحقائق الكونية)[1].

وأما **الأدعياء** الذين ينسبون لأنفسهم ما لم يتجرأ الأنبياء أن يدّعوه، من علم الغيب مطلقاً، أو التصرف بالأكوان، فهم يرفعون ويخفِضون، ويُدخلِون الناس الجنة أو يخرجون، ولا يتأدبون مع الله تعالى، بآداب الشريعة المطهرة، فهؤلاء دجّالون فاحذرهم....

وصية

يقول الإمام أحمد الرفاعي:

(إياكم والدجالية... إياكم والشيطانية... إياكم والطرق التي تقود إلى كلا الوصفين....أخجلوا الشيطان بخالص الإيمان....خربوا بيع الدجل بيد الصدق[2]...)

اللهم اجعلنا من الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، وأعذنا يا إلهنا من الزيغ والانحراف عن شريعتك..

(١) كتاب فضيلة العالم الرباني الشيخ محمد بشير الباني ص/٢١-٢٢ ، إعداد: محمد غسان الجبَّان ومحمد كريم.

(٢) البرهان المؤيد ص ٥٠.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين.

اللهم أحْيِ قلوباً أماتها البعد عن بابك، ولا تعذبها بأليم حجابك.

اللهم إنا نسألك أن تكرمنا بما أكرمت به أولياءك من نعيم قربك وصدق حبك ولذة مناجاتك وأنوار تجلياتك وكرامات منحك وهباتك.

اللهم ظلمنا أنفسنا فاغفر لنا ذنوبنا، واستر عيوبنا، وهب لنا رضاك، واهدنا بهداك، وأكرمنا بتقواك، ولا تكلنا إلى أحد سواك.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين.

المجلس الخامس

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس الخامس

- الإدمان ..ينبغي أن تصبح مدمناً للذكر ..!
- الأدب .. طريق لبلوغ الأرب ..
- أأَنت سابق .. أم مسبوق ..؟!
- أين أعمالك وإنجازاتك ..؟!
- العمل .. طريق الوصول إلى الله ..
- انظر إيمانَ ..أهل النسب الحقيقي ..
- أسس تطوير العمل الإسلامي ...
- مستنبتات يكون إنتاجها الدعاة والداعيات..
- كم أخاً داعياً ربيت ..؟
- الذكر جلاء القلوب ...
- القلب طاقة من نور ...
- نتائج الرّان والعمى على القلب ...؟
- داءٌ وسلاحٌ خبيث ..لا يقضي عليه إلا ذكر الله ..!
- إذا مرضنا تداوينا بذكركم ..
- من وجد الله .. وجد كل شيء ..
- أربعون يوماً .. وماذا بعد ..؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مازلنا في مدرسة ورحاب وجنان ذكر الله تعالى، وقد ورد في بعض توجيهات شيخنا لأحبابه وإخوانه ومريديه والسالكين معه، في هذا الطريق، طريق المحبين والعاشقين لله تعالى، وصية بالتأكيد على مجالس الذكر، بل إدمان ذكر الله تعالى...

الإدمان ... ينبغي أن تصبح مدمناً للذكر..؟!

بعض الناس واقعون في الإدمان، لكن أي إدمان؟ الإدمان على معصية الله تعالى، على البعد عن الله، على الغفلة عن الله، مدمن غفلة ومدمن معصية.

وصية

المطلوب منك أيها السالك إلى الله.... أن تدمن ذكر الله تعالى...
وأن تستديم على ذلك في مجالس الذكر مع الجماعة..

قول

وكما قال شيخنا رحمه الله: (فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ولا يستوحش أنيسهم).

الأدب.. طريق لبلوغ الأرب ..

لكي تصحب أهل الذكر عليك أن تتأدب بآدابهم وأن تلتزم أخلاقهم وسلوكهم. **يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله** : (فمن التزم الآداب الظاهرة دخل في جنسية القوم، وحُسب في عدادهم، لأن استعمال الآداب دليل الجنسية، بل تكون علَّةَ الضم. **قال رويم**: التصوف كله أدب، وهذا الأدب الذي أشارت له الطائفة **أدب الشرع، كن مُتشَّرعاً ودع حاسدك يكذب عليك، وينسب ما يحب إليك**.

قول

شعر

ولَسْتُ أُبالي في زَماني بِريْبَةٍ إذَا كُنتُ عنْدَ اللهِ غيْرَ مُريبِ

إذا كانَ سِرِّي عندَ رَبّي مُنَزّهاً فمَا ضرَّني وَاشٍ أتَى بغَريبِ[1]

قول

وقال سعيد بن المسيب : (من لم يعرف ما لله عليه في نفسه، ولم يتأدب بأمره ونهيه، كان من الأدب في عزلة... **وسُئِل الحسن البصري** عن أنفع الأدب فقال: التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بحقوق الله تعالى على عبده) [2].

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي: (وقالوا: حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن، وقالوا: من لم يعرف أدب الظاهر، لا يؤتمن على أدب الباطن، كل الآداب منحصرة في متابعته ﷺ قولاً وفعلاً، وحالاً وخُلُقَاً، فالصوفي أدبه يدل على مقامه، **زنوا أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه بميزان الشرع**، يُعلم لديكم ثقل ميزانه وخِفّته) [3].

---

(١) البرهان المؤيد ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩.

(٣) المصدر نفسه ص ٢١.

فانظروا أيها الأحباب، إلى السالكين الصادقين ومدى التزامهم بالأدب مع الله وشرعه، وشدة اجتهادهم في محبة الله وعشقهم لربهم!..

أأنت سابق .. أم مسبوق ..؟!

أنت تجتهد ظاناً بأنك سابق ولست بمسبوق، وعندما تتحرى الحقيقية تجد أن هناك المئات والآلاف ممن اجتهد وسبق. ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الواقعة]

قدوة

لذلك ينبغي أن لا يقع أي أخ منا في فتور الهمة.. ينبغي أن تأخذ بمعالي الأمور دائماً... كما كان حال **شيخنا رحمه الله**.. إذ لم يُضعف المرض همته... ولا كبر السن... ولا العجز الذي أصاب جسده... ولا الصعوبات التي عرضَتْ له وعانى منها . والله وحده يعلم ما عانى، وعظم الصعوبات الذي تعرض لها .كل ذلك لم يضعف همته على الإطلاق، كان دائماً سباقاً في الأمام وكان الإخوان وراء الشيخ... كان الشيخ دائماً في اجتهاده، وصدقه وإخلاصه، متميزاً عن جميع إخوانه ..

قول

قال بعض السلف (شتان بين أقوام موتى تحيا القلوب بذكرهم، وبين أقوام أحياء تموت القلوب بمخالطتهم) [1]. **وعن سهل بن سعد الساعدي** رضي الله عنه **أنه سمع النبي** ﷺ **يقول**: «إن الله كريمٌ يحبُّ الكَرَم ويُحِبُ مَعَالي الأخلاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَها»[2]. **ويقول المتنبي:**

شعر

وإذَا كَانَتِ النُّفُوسُ كِبَاراً تَعِبَتْ فِي مُرَادِهَا الأجْسَامُ

(١) زاد المهاجر إلى ربه، لابن قيم الجوزية ص/ ٧٤.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/١١١).

أين أعمالك وإنجازاتك..؟!

أيها المريد لا تقل كان شيخي عظيماً، وله أعمال مشهود لها، وإنجازات كبار تشهد له، فهذه أعماله وقد أقبل على الله بها، فأين أعمالك أنت؟ وأين إنجازاتك التي ستُقبل بها على الله ؟!.. لذلك **قالوا**:

أشعار

كُـنِ ابـنَ مَـنْ شِـئتَ وَاكْتَـسبْ أدَبـا ... يُغنِيْـكَ مَحْمُـودُه عـنِ النَّـسَبِ

إنَّ الفتَـى مَـنْ يقـولُ هَأنـذا ... لـيسَ الفَتـى مَـنْ يقـولُ كـانَ أبـي

ويقول الشاعر:

إنّـا وإنْ كَرُمَـتْ أوائِلُنـا ... لَـسْنَا علـى الآبَـاءِ نَتّكِـلُ

نَبْنِـي كَمـا كَانَـتْ أوَئلنـا ... تَبنِـي ونَفْعَـلُ مِثلَمـا فَعَلـوا

قول

أيها المريد لا تكن كمن **قال فيهم أبو حاتم البستي**:

(ما رأيت أحداً أخسر صفقة، ولا أظهر حسرة، ولا أخيب قصداً، ولا أقل رشداً، ولا أحمق شعاراً، ولا أدنس دثاراً، من المفتخر بالآباء الكرام وأخلاقهم الجسام، مع تعرّيه عن سلوك أمثالهم وقَصْد أشباههم، متوهماً أنهم ارتفعوا بمن قبلهم، وسادوا بمن تقدمهم، وهيهات.. أنَّى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه؟ وأنَّى ينبل في الدارين إلا بِكَدِّه)[1].

وكثيراً ما كان شيخنا رحمه الله يُنَبّه إخوانه إلى هذه المعاني، ويشحذ هممهم، ليُقبلوا على الله بأعمالهم الخالصة، وليس بأمانيّهم أو بالاتكال على جهود من سبقوهم من المعلمين والمربين، والدعاة المخلصين، وكان يردد على

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / لمحمد بن حبان البستي، أبو حاتم ص٢٠٦.

مسامعهم هذه الأبيات، **لمحمد بن عبد الله البغدادي**:

إنْ لـم تَكُـن بفعَـالِ نفـسِكَ سَـامياً ... لَـمْ يغـنِ سُـموُّ مِـنْ تَـسْمو بـه
لـيسَ القـديمُ علـى الحـديثِ بِرَاجـعٍ ... إنْ لـم تجـدهُ آخِـذاً بنَـصِيْبه
ولرُبَّمَـا اقتَـرَبَ البعيـدُ بـودِّهِ ... وغَـدَا القريـبُ مُبَاعِـداً لِقَريبـه[1]

ومن الأبيات الشعرية التي كان يرددها أيضاً على إخوانه ما **قاله منصور بن محمد**:

إنّ المـروءةَ لـيسَ يُـدركُها امـرؤٌ ... وَرِثَ المـروءةَ عـن أبٍ فأضَـاعها
أمرَتـهُ نفـسٌ بالـدّناءةِ والخَنَـا ... ونَهَتْـهُ عـنْ طَلَـبِ العُـلا فأطاعهـا
فـإذا أصَـابَ مِـنَ الأمـورِ عظيْمَـةً ... يبنـي الكَـرِيْمَ بهـا بـالمروءةَ باعهـا[2]

وهنـاك مـن المريـدين مـن يـصولون ويجولـون بـذكر مناقـب شـيوخهم، وانتسابهم إليهم، وهم أبعد ما يكونون عن الاقتداء بأعمالهم وسلوكهم، وقد وصف محمد بن إسحاق أمثال هؤلاء بقوله:

خَـسَاسةُ أخـلاقِ الرّجـالِ تَـشِيْنُهم ... وقـلَّ غنـاءً عـنهم النَّـسبُ المَحـضُ
يـصُولونَ بالآبـاءِ فـي كـلِّ مَـشْهَدٍ ... وقـد غَيَّبـت آبـاءَهم عـنهمُ الأرضُ
طويـلٌ تَبـدّيهم بمَجـدِ أبـيهمُ ... ومَالهمُ في المجدِ طولٌ ولا عرضُ[3]

(١) روضة العقلاء ص٢٠٦.
(٢ -٣) المصدر نفسه ص/٢٠٥.

وقال البسامي:

وكَـمْ قائـلٍ: إنـي ابـن بيـتٍ هـو ابنـه ... وقـد هـدَمَ البيـتَ الـذي مَـاتَ عـامِرهُ

فـأوْدى عَمُـوداه، ورثَّـتْ حِبالُـه ... وأصَـلحَ أولاهُ، وأفـسَدَ آخِـره[1]

وقال الحسين بن أحمد البغدادي:

لـيسَ الكـريمُ بمَـنْ يُـدنّسُ عِرضَـهُ ... ويـرى مروءتَـه تكُـون بمـنْ مَـضى

حتـى يـشيدَ بنـاءه ببَنَانِـه ... ويـزينَ صـالحَ مـا أتـوه بمـا أتـى[2]

العمل طريق الوصول إلى الله ..

قول

ويقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لا تصغرن هِمَمكم، فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صِغَر الهمم)[3].

الخلاصة

فعلى المريد أن يكون صاحب همة عاليةٍ... وأن لا يتوقف عند نسبه الروحي للطريقة والمربي.. لأن هذا الطريق لا ينفع فيه إلا الجد والعمل...

وقد قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ [سورة التوبة].

وليس فسيرى الله نسبكم، سواءً أكان نسباً روحياً أو جسدياً، فالنسبة للأنبياء أو الأولياء يجب أن تكون مقرونةً بالأعمال وحسن السيرة والسريرة، قال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعۡيُهُم مَّشۡكُورٗا ١٩ ﴾ [سورة الإسراء].

(١ -٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لمحمد بن حيان البستي ص٢٠٦.

(٣) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص ٣١٠.

أما الحالمون بنَسَبِهم للأنبياء أو الأولياء، فإن النبي ﷺ يُجيبهم ويُنَبّههم ويضع لهم القواعد والمبادئ المتعلقة بصحة النسب، ويؤكد لهم بأن هذه الأنساب إذا لم تقترن بالأعمال الصالحة بل المتميزة لتتناسب مع موقع القدوة، فإنها لا تغني من الله شيئاً ..

لقد خاطب رسول الله ﷺ قريشاً وأهله بعد نزول الآية الكريمة﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾[سورة الشعراء] **فقال**: «يا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ من اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللَّهِ شيئا يا بَنِي عبد الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكُمْ من اللَّهِ شيئا يا عَبَّاسَ بن عبد الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ من اللَّهِ شيئا يا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رسول اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ من اللَّهِ شيئا يا فَاطِمَةُ بِنْتَ رسول اللَّهِ سَلِينِي بِمَا شِئْتِ لا أُغْنِي عَنْكِ من اللَّهِ شيئا»[1].

ويؤكد النبي ﷺ لآل بيته وأهله بأن العبرة بالأعمال لا بالأنساب، **بقوله** ﷺ : «يَا بَنِي هَاشِمٍ، لا يَأتِيْنِي النَّاسُ بِأعْمَالِهِم، وَ تَأتُوْنِي بِأَنْسَابِكُم»[2]. **ويقول** ﷺ: «وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ»[3].

وقد أكّد النبي ﷺ أن الذين يستحقون التكريم في الدنيا والآخرة هم أهل التقوى وهذا هو النَّسَب الحقيقي الذي أعزّه الله تعالى ورفعه. **عن النبي ﷺ أن الله عز وجل يقول يوم القيامة**: «إنِّيَ جَعَلتُ نَسَبَاً، وَجَعَلتُم نَسَباً، فَجَعلتُ أكْرَمَكُم عِنْدِي أَتْقَاكُم، وأَبَيْتُم إلاَّ أنْ تَقُولُوا فُلانُ بن فُلان، وأَنَا اليومَ أَرْفَعُ نَسَبِي، وَأَضَعُ نَسَبَكُم، أَيْنَ المتَّقون، أَيْنَ المتَّقون؟»[4]

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه أحمد والترمذي.
(٣) أخرجه مسلم (٢٠٧٤/٤) .
(٤) أخرجه الحاكم (٥٠٣/٢).

انظر إيمانَ ..أهل النسب الحقيقي ...

حكاية

وما أروع ما عبر به أهل النسب الحقيقي عن هذا الموضوع على لسان زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما، **كما روى الأصمعي حيث قال**[1]: كنتُ أطوف بالكعبةِ في ليلةٍ مقمرة، فسمعتُ صوتاً حزيناً فتبعتُ الصوتَ، فإذا أنا بشابٍ ظريفٍ، قد تعلّق بأستار الكعبة، يقولُ: نامت العيونُ وغارت النجوم، وأنت الله الملكُ الحيُّ القيومُ، ثم أنشأ يقول:

يَا مَنْ يُجيبُ دُعا المُضْطر في الظُلمِ	**يَا كَاشِفَ الضّر والبلوى مَع السَّقَمِ**
قَدْ نَام وَفْدُك حَوْل البيتِ وانْتَبَهوا	**وَأَنت يَا حيُّ يا قيُوم لم تنمِ**
أَدْعُـوك ربـي حَزِينـاً هَائِمـاً قَلِقَـا	**فارْحَمْ بُكائي بحقّ البيتِ والحَرَمِ**
إنْ كَـانَ عَفْـوُك لا يَرْجُـوه ذُو سَـفهٍ	**فَمَنْ يَجُودُ على العاصين بالكرمِ**

فكان يكرر هذه الأبياتَ حتى سقط مغشياً عليه، فدنوت منه، **فإذا هو زين العابدين عليُّ بن الحسين** ﷺ، فوضعتُ رأسه في حجري، وبكيتُ لبكائه، ولما أفاقَ من غشيته، قلت له: يا سيّدي: ما هذا البكاء وما هذا الجزعُ؟ وأنتَ من أهل بيتِ النبوة ومعدن الرسالة، أليس الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب]. فاستوى جالساً وقال: يا أصمعيُّ، هيهات، هيهات، إن الله تعالى خلقَ الجنة لمن أطاعه، وإن كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاهُ وإن كان ملكاً قرشياً، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة المؤمنون].

(١) المستطرف في كل فن مستظرف ج١/٢٨٦.

شعر

يقول عبد العزيز بن سليمان الأبرش:

إذا انْتَسَبَ النّاس كَانَ التّقيُّ بتقوَاهُ أفضل مَنْ ينتسبْ

وَمَنْ يتَّق الله يكسِبْ بهِ من الحظّ ما يكتسبْ[1]

انتبه

وهكذا فإن المريد السالك إلى الله عز وجل لا ينظر إلى نسبه إلى الطريق والشيخ المربي، إلا من باب زيادة الاجتهاد بالتزكية والترقية، والعمل والإخلاص حتى يكون أهلاً لصحبة القوم لتحصيل القرب والمحبوبية عند مولاه جل وعلا ...

أما من يتصدر المجالس وهو فاقد للأهلية العلمية والدعوية والسلوكية، ويقلّل من شأن برامج التربية والتزكية ويدّعي أنها من الفكر العفن الذي يجب تغييره، فقد أصاب عقله وقلبه العفن والغفلة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف].

أسس تطوير العمل الإسلامي...

التطور لا يتأتى بتغيير القواعد الإلهية والنبوية، التي ربّانا عليها شيخنا، ربّانا شيخنا على ذكر الله، وكان في كل درس يقول: أكثروا من ذكر الله، فالذكر والتزكية في برنامج الدعوة عندنا، جزء أساسي وركن مكين من عمل الدعوة.

انتبه

تطوير العمل الإسلامي والارتقاء به لا يكون: بالغفلة واتباع الهوى.

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء / لمحمد بن حبان البستي، أبو حاتم ص ٣١.

كان شيخنا يقول: «علم بلا سلوك لا ينفع»، لا بد مع العلم من التربية والسلوك، لذلك قام برنامج الجلسات التربوية على التوجيه والسلوك، والتربية والعلم وفنون الدعوة إلى الله، والحكمة والأخلاق؛ والعلم مطلوب لكنه جزء من وسائل تحقيق الهدف وليس كل الوسائل المطلوبة...

لذلك فالمطلوب من المريد وطالب العلم أن يحصل على كلا الجناحين:

١- جناح السلوك والتزكية.. **٢- جناح** العلم وفنون الدعوة إلى الله ..

وصية

تترقى الدعوة وتتطور بالأخلاق والتربية والذكر والتزكية، والحكمة والعلم والخبرة والموهبة الدعوية، وتتطور الدعوة بصناعة الإنسان، صناعة رجال الدعوة، صناعة قادة الدعوة، صناعة الدعاة الذين يحملون رسالة الدعوة في كل مكان، حيثما حلُّوا يزرعون وحيثما ارتحلوا يبنون، يصنعون مجد هذه الدعوة بالعمل..

لا بالكلام والتشدق!...

وكثيراً ما كان شيخنا يستشهد بقول الشاعر:

شعر

يبْني الرِّجالَ وغيرهُ يبني القُرى شَتَّانَ بينَ قُرىً وبينَ رِجَالِ

فأنت أيها الأخ السالك المحب العاشق المنتسب إلى مدرسة العلم والحكمة و التزكية، ينبغي أن تنظم برنامجك، وفق القواعد التي ذكرناها، وعلينا جميعاً أن نعيد النظر في برامجنا وفي أعمالنا وفق هذا الاتجاه ...

وصية

المطلوب منك أن تربي الدعاة، مهمتنا جميعاً أن نربي الدعاة... أهل العلم.. والحكمة.. والتزكية..

مستنبتات يكون إنتاجها الدعاة والداعيات...

عندما نقوم بدراسة شرائح المجتمعات المختلفة في كل البلدان... نجد أن الإنسان الذي تم بناؤه على منطق العلم والتزكية والحكمة يكون إنساناً متميزاً، إنساناً بناءً متفوقاً مبدعاً ، وحيثما كان هذا الإنسان، يتحقق البناء، ويكون الإنتاج.

إذا لم يكن هنالك علم ولا تربية ولا تأهيل ولا حكمة، لن يكون هنالك إنتاج ولا نجاح على الإطلاق...

انظر إلى الناس البعيدين عن العلم وعن التربية والتزكية والحكمة، ادرس شخصياتهم، انظر إلى إمكانياتهم وطاقاتهم، ترى أن حياتهم قد اختُزلت بإشباع غرائزهم، فجميع أوقاتهم وجلّ همومهم انصرفت وتحولت إلى برنامج عنوانه الغريزة، ليس فيه إلاّ غريزة الأكل، غريزة النوم، غريزة التكاثر، الغرائز الموجودة في كل أنواع المخلوقات الحيوانية التي خلقها الله عز وجل.

وإذا بحثت عما يميز هؤلاء الناس عن باقي المخلوقات في البرامج والأهداف والأعمال، فلن تجد شيئاً ..وستجد إنساناً ضائعاً من الداخل، إنساناً لا رسالة له في الحياة ... يصحو لكن بعد أن يفوته القطار... يبكي لكن في ساعات لا يفيده فيها البكاء، يصحو في لحظة لا يستطيع فيها أن يستدرك فيها ما فاته!!..

فائدة

لا نجاة لهذه الأمة.. إلا
بالعلم والحكمة والتزكية... وصناعة الإنسان
المتميز .. والمتفوق .. والمبدع ..

كم أخاً داعياً ربيت؟...

أيها الأخ ينبغي أن تضع برنامجاً لتكون مهمتك الأولى فيه أن تربي الدعاة، فإذا وقفت غداً بين يدي الله، وسألك رب العزة كم شخصاً كُتب لهم الهداية على يديك؟ هل تستطيع أن تقول: يا رب أنت أكرمتني فجعلت هداية فلان وفلان على يدي...

هذا ما ينبغي أن تجعله همك، ولكي تكون قادراً على التأثير والتربية ينبغي أن تشتغل بالذكر، وأن تجعل النبي ﷺ قدوتك، وأن تجتهد بالعمل للتقرب إلى الله تعالى .

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله: (طلب القرب بلا أعمال محال، وأي محال .. اطلبوا الله بمتابعة رسول الله ﷺ، إياكم وسلوك طريق الله بالنفس والهوى.. عظموا شأن نبيكم هو البرزخ الوسط بين الخلق والحق، عبد الله حبيب الله، رسول الله، أكمل خلق الله، أفضل رسل الله ، الدالّ على الله ، الداعي إلى الله ، المخبِر عن الله، الآخذ من الله، باب الكل إلى الحضرة الرحمانية، وسيلة الكل إلى الحضرة الصمدانية، من اتصل به اتصل، ومن انفصل عنه انفصل، **قال عليه صلوات الله وتسليماته** : «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمُ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تبعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ» [1]) [2].

الذكر جلاء القلوب...

قول

يقول الإمام ابن القيم عن الذكر: (وهو جلاء القلوب وصقالها).

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري ٢٨٩/١٣، وقال: رجاله ثقات .

(٢) البرهان المؤيد ، ص ١٧.

هذا القلب يصدأ، ويحتاج إلى جلاء! كما ورد في الحديث **عن أنس بن مالك** ﷺ، **قال** ﷺ: «إنَّ للقُلُوبِ صدأ»، قالوا: فما جلاؤها يا رسول الله؟، **قال**: «جلاؤُهَا الاسْتِغْفَار»[1].

فما أعظم هذه النعمة، وما أعظم هذا الباب، فرسول الله ﷺ يرشدك إلى أن جلاء القلوب من الذنوب يكون بالاستغفار... بذكر الله تعالى..فما أعظم هذه النعمة، لقد جعل لنا ربنا عز وجل باباً وطريقاً للتخلص من صدأ القلوب، ووهبنا دواءً وعلاجاً بحيث لو أصاب هذا القلب شيء من الرّان أو اعتراه شيء من الصدأ فإننا نستطيع جلاءه بذكر الله تعالى، لأن هذا القلب لطيفة نورانية ...

وطبيعة الإنسان، **كما بيَّن النبي** ﷺ : «كُلّ ابن آدمَ خَطّاء وَخَيْرُ الخطّائينَ التَّوابون»[2]. هذا الخطأ الذي تقع فيه عند كل مخالفة شرعية، وعند كل معصية تقع فيها تنكت في قلبك نكتة سوداء، مثل الصفحة البيضاء عندما تشوبها نقطة سوداء...

فائدة

القلب يحجب عن الله بسبب الذنوب، ومنها الغفلة...
وجلاؤه بالذكر، ومنه الاستغفار...

إذا كنت ذاكراً ومستديماً على الذكر، ثم وقعت في ذنب ونكت في قلبك نكتة سوداء ، فسيأتي ذكر الله ويجلو هذه النقطة السوداء، فتبقى زجاجة قلبك نظيفة فيها بريق النور الإلهي.

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧٤/٧).
(٢) أخرجه الحاكم (٢٧٢/٤).

فائدة

فالذكر طريق النجاة من عذاب الله، لأنه يوقظ فيك الميل والرغبة في التوبة .. ويزهدك بالمعاصي والأهواء ويجلو صدأ الذنوب عن قلبك فتنبعث الحياة الإيمانية فيك قوية مؤثرة.

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله : (إذا طُبعت مرآة بصيرة القلب بتراكم صدأ الغفلة عن الرب، وتوارت وجوه الحقائق عن بواطن الأفهام، وامتنع عنها إنفاذ نور الإلهام، فأظلم وجهُ البيان..(فماذا) تغني الشمس عن المكفوف مع كمال إشراقها...وما يجدي فرط الإشراق مع ضعف الأحداق.. نحن في موقف إشراق شمس القدرة وعيون أفهامنا ضعيفة، وبغمامات الغفلة محتجبة، فمالنا عيون تصلح لرؤية ذلك الجمال، ولا قلوب تحمل مهابة تلك العظمة وعزة ذلك الجلال) [1].

القلب طاقة من نور...

هذا القلب بداخله نور إلهي يفيض هذا النور من القلب ؛ أعطاك رب العزة نوراً إلهياً جعله في قلبك يسري منه إلى من تجالس...وهناك بالمقابل نور إلهي يأتي إلى قلبك، **لذلك كان من دعاء النبي** ﷺ: «اللهم اجعل في قلبي نوراً» [2].

نواة هذا النور وجذوته مركوزة في القلب، ويزيد هذا النور في قلبك من خلال استدامتك على ذكر الله، هناك أناس طاقتهم النورانية ضعيفة، وهناك

(١) البرهان المؤيد ص٤٢.

(٢) متفق عليه.

أناس طاقتهم النورانية كالشمس!!... لأن وارداتهم من النور الإلهي كبيرة من خلال ذكر الله وتلاوة القرآن، ومن خلال مقام المراقبة، وشعورهم بالمعية الدائمة مع الله..

فإذا لم تَحْلُ قلبك بذكر الله فلن يفيض النور منه على جلسائك ليشعروا به فيستفيدوا منك، وستعجز عن استقبال الهبات والعطايا والتجليات النورانية الإلهية. مثل زجاجة المصباح البيضاء إذا أتت عليها نقطة سوداء ثم نقطة فنقطة فنقطة يصبح سطحها أسود قاتماً، فهل تشع عندئذ الشعلة التي بداخلها!

وهل يمكن أن يدخل النور الخارجي إلى القلب! لا، لأنه أصبح أسود مُربداً، الحل يكمن بالنعمة العظمى التي أكرمنا بها رب العزة وهي جلاء القلب بذكر الله، فعلينا أن نفرح كثيراً بهذه الهبة التي وهبنا الله إياها.

نتائج الرَّان والعمى على القلب..؟

فلو أن رب العالمين لم يمنحك القدرة على أن تَجلوَ قلبك مما أصابه من المخالفات ومن المعاصي، فلا شك أن هذا القلب سيصبح غافلاً عن ذكر الله وسيصل إلى مرحلة: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة المطففين].

إذا كان في كسبك وأعمالك شيء من المعاصي فهذا الخلل في الكسب يجعل راناً على القلب، يجعل ستارة حاجبةً تمنع وصول النور الإلهي إلى هذا القلب، فينبغي أن تشتغل بجلاء قلبك بذكر الله تعالى.

فإن لم تفعل سيحجب الرَّان هذا القلب عن الفهم عن الله وعن تلقي التجليات عن الله فينطبق عليك قول الله تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ

﴿ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[سورة الحج]. فيصيب هذا القلب العمى، ويصيبه العجز الكامل عن تلقِّي الفهم عن الله عز وجل، وعن تلقِّي التجليات الإلهية التي تتنزل على عباد الله الصالحين...

وإذا أصاب هذا القلب العمى يهوي صاحبه إلى درك الغفلة عن الله تبارك و تعالى، وإذا صار في زمرة الغافلين يكون قد وقع في بلية ما بعدها بلية... لأن ثمرة الغفلة هي اتباع الهوى ، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الكهف].

ماذا تُورث الغفلة؟ ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، ثمرة الغفلة اتباع الهوى، فإذا اتبعت الهوى فما هي ثمرة هذا الاتباع؟.﴿وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ ..أي تتجه أمورك وبرنامجك ومسيرتك في الحياة نحو الضياع والهلاك .. هذا هو معنى (**فرطا**) الضياع والهلاك. فالغافلون ضائعون... الغافلون هالكون... ينبغي أن تجتهد في برنامج الذكر وإلا وقعت في الضياع والهلكة ...

وإذا ادعى شخص أن صموده عظيم، وتحمّله جيد، وأنه لن يقع في الغفلة من خلال صحبة الغافلين، ولن يتأثر ولن يتبع الهوى.. فإننا نقول له إنك تخالف هذا القانون الإلهي وسوف تخفق وسوف تنطبق عليك وعلى كل مخالف لتعاليم الله . قوانين الله وسننه في الكون والحياة ..

عوائق

إذا لم تشتغل بالذكر فلن تستطيع الثبات على الحق...

إذا لم تشتغل بالذكر فلن تستطيع الصمود أمام الصعوبات التي تعج بها الحياة...

إذا لم تشتغل بالذكر فستقع في الغفلة واتباع الهوى وستكون النتيجة: الضياع والهلاك..

أينما التفت في كل الأماكن التي تتحرك فيها، تجد هناك ما يدعوك لأن تتبع هواك. والله عز وجل يقول: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الكهف]. هذه قوانين...ينبغي أن نفهم الآيات والأحاديث على أنها قوانين...

يقرّر الله عز وجل لك بأنك ستتبع الهوى... إذا صار قلبك غافلاً عن الله.. فتمشي في الشارع ولا تملك القدرة على ضبط عينيك، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[سورة النور]. تقول لا أستطيع... لكن رب العالمين أنزل لك الدواء وأرشدك إليه.. إنه ذكر الله تعالى يمدُّك بالقدرة والقوة للتغلب على أهواء النفس، وعند ذلك ستجد أن لديك قدرةً على تنفيذ ما يأمرك به الله تعالى ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾، وعندما تغض بصرك تكون قد انتصرت على كل آلة الشر التي تروّج للرذيلة وتزينها على كافة المستويات.

داءٌ وسلاحٌ خبيث ... لا يستأصله ويقضي عليه إلا ذكر الله ..!

كل القائمين على الوسائل الإعلامية المعادية للإسلام والعروبة، رأوا أن أعظم سلاح يستطيعون من خلاله خرق استراتيجية النصر التي يصنعها المسلمون اليوم وفي كل يوم، هو سلاح الرذيلة وهدم القيم النبيلة وإلهاء الناس بغرائزهم وشهواتهم بل إشعال نيران الهياج والسُّعار الغرائزي، يريدون من الناس ألّا يفكروا بأوطانهم وعدوهم وحماية قِيَمهم وثقافتهم، يريدون مجتمعات غارقة في المستنقعات الغرائزية والاستهلاكية، ومحاربة كل ما يدعو إلى ثقافة المقاومة وصناعتها، فيُلبسونها ثوب الإرهاب والظلامية والتخلف والغوغائية، ويُلبسون أعداءها أثواب الاعتدال والواقعية والانفتاح، والبحث عن التقدم والازدهار الاقتصادي وبناء مجتمع الرفاهية والتحضر.

إن الواقع والمشهد على الأرض يتحدث ويرد على المتخاذلين اللاهثين وراء أموالهم ومصالحهم وشهواتهم، أليست الرقعة التي هيمنت عليها إسرائيل كانت في اتساع؟! أليس طوال الوقت الماضي ورقعة إسرائيل باتساع؟! أليس أن رقعتها لم تصغر إلا بالمقاومة؟! والمقاومة هي صناعة القوم الذين يحبون الموت كما يحب أعداء الإسلام الحياة..

فهم الذين يصنعون النصر، وليس الذين يتبعون أهواءهم، ليس هؤلاء الذين يصنعون النصر، بل الأجيال المحبة لله، العاشقة لله الذاكرة لله ... منذ زمن الصحابة، إلى زمننا هذا هم الذين يصنعون النصر...

عندما كان الدعاة يتكلمون عن مآثر الصحابة والتابعين في جهادهم، كان المغرِضون والمشوشون يقولون بأن ذلك كله ضربٌ من الخيال... ولكن الله تعالى يقيم الحجة على كل المنكرين لهذه الدعوة، لأن مدرسة العشق واحدة ومدرسة الحب واحدة لا تتغير، وكذلك مدرسة المقاومة والجهاد والتضحية في سبيل الله ونصرة المستضعفين هي واحدة.

فائدة

هناك من يعمل على نصر الأمة... ويصنع لها تاريخاً على صفحات العزة والكرامة...

وهناك مهزومون أمام شهواتهم وأهوائهم.. بسبب غفلتهم عن ربهم وضعف إرادتهم...

إنهم مهزومون من الداخل، والمهزوم من داخله لا يستطيع ولا يملك القدرة على صناعة النصر...

هذا الطريق طريق الأولياء... هذا الطريق طريق المقرّبين الذاكرين لله تعالى... هذا الطريق طريق الذين يغيرون ويصبغون ولا ينصبغون...هم الذين

يغيرون؛ يغيرون المحيط حولهم ويؤثرون في الناس حولهم... أما إن كنت ضعيفاً مهزوماً فاذهب واركن إلى الضعفاء فليس لك مكان بين الأقوياء، أصحاب الهمم والعزائم الكبيرة.

إذا مرضنا تداوينا بذكركم...

قول

ثم يقول ابن القيم: (وهو [الذكر] جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إن غَشِيها اعتلالها):

إذَا مَرِضْـــنَا تـــــداوَيْنا بِـــــذِكْرِكُمُ ونَتْـرُكُ الــذِّكْرَ أحيَانــاً فَنَنْـتَكِسُ

قول

قال: (وكلما ازداد الذّاكر في ذكره استغراقاً ازداد المذكور . أي الله عز وجل . محبة إلى لقائه واشتياقاً). أي أن الله تعالى يحبك، **لذلك قال الحسن**: «أحبُّ عباد الله إلى الله أكثرهم ذكراً وأتقاهم قلباً».

أتحب أن تكون من أحب العباد إلى الله؟ أكثر من ذكر الله ... **ولذلك كان شيخنا دائماً يقول**: «يا بني أكثروا من ذكر الله» لأنه إن أكثرت من ذكر الله، تصبح من أحب العباد إلى الله ...

«**أحب العباد إلى الله أكثرهم لله ذكراً وأتقاهم قلباً**» إن أكثرت من ذكر الله، أحبك الله، وهي علامة محبتك لله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [سورة المائدة :٥٤]. **قال الربيع بن أنس**: (علامة حُبّ الله كثرة ذكره، فإنك لن تحب شيئاً إلا أكثرت من ذكره) [1].

قول

وصية

إذا أردت أن يحبك الله .. فأكثر من ذكر الله.. إذا أردت أن تحب الله .. فأكثر من ذكر الله .. عندها تصل إلى مقام (يحبهم ويحبونه)..

(١) مدارج السالكين ، لابن القيم ج٢/٢١٨.

من وجد الله وجد كل شيء...

قول

يقول ابن عطاء السكندري مناجياً ربه جلّ وعلا: (أنت الذي أشْرَقْتَ الأنوار في قلوب أوليائك ... وأنت المؤنس لهم، حيث أوحشَتهم العوالم .. أنت الذي هديتهم حتى استبانت لهم المعالم..**ماذا وجَدَ من فقدك؟! وما الذي فقَدَ من وجَدَك؟!** لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغى عنك مُتحوّلا...) [1]

قول

ويقول ابن القيم: (وإذا واطأ [الذاكر] في ذكره قلبُه للسانَه، نسي في جَنْب ذِكره كل شيء، وحفظ الله عليه كل شيء، وكان له عوضاً من كل شيء) [2].

أربعون يوماً .. وماذا بعد ..؟!

نحن لم نسلك في الذكر على طريقة الشيوخ الأقدمين، ولم يدخل أحد منا الخلوة أربعين يوماً، أو ما يُعرف بالاعتكاف، وهذه الأيام الأربعون هي فقط المرحلة الأولى في تعلُّم الذكر...

خلوة

عندما يأتون إلى المريد السالك بعد انقضاء الأربعين يوماً ليخبروه: أن الشيخ أذِن له بالخروج من الخلوة؛ والخلوة هي دورة مكثفة في الذكر ، لمدة أربعين يوماً يستأنس الذاكر بذكره حتى ينسى في جنب ذكره كل شيء، فهو

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة ص٤٧٦.

(٢) مدارج السالكين ، لابن القيم ج٢/٤٢٣.

من لذة الذكر، ومن أُنْسِ قلبه وطُمَأنينيته بالذكر، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الرعد]، تجده لا يرغب في الخروج من عالم الذكر ...فما الذي حصل لهذا المريد السالك؟!!.

لو لم تحصل له لذة من الصلة بالله عز وجل، أعلى من كل لذات الدنيا، لم يكن ليطلب هذا الطلب... هذه حقيقة.

قول

قال مالك بن دينار: (وما تلذَّذ المتلذِّذون بمثل ذكر الله عز وجل، فليس شيء من الأعمال أخف مؤونة منه، ولا أعظم لذة، ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب) (١).

فالشيوخ العارفون الكاملون يدخلون المريدَ في الخلوة والذكر ولا يتركونه مستغرقاً في هذا العالم . عالم السعادة الغامرة . إذ ليس المقصود أن يصير زاهداً وناسكاً بل المقصود أن يصبح داعياً إلى الله بنّاءً ومنتجاً، يمشي على خُطا النبي ﷺ.

فهل بقي النبي عليه الصلاة والسلام في غار حراء ؟ وماذا كان ينتظره بعد غار حراء؟ كان هناك الجهاد؛ جهاد الدعوة، بناء الأمة، إنقاذ الأمة، صناعة الأمة، ولا يمكن أن تصل إلى هذا المقام إن لم تلتزم في هذا البرنامج؛ برنامج ذكر الله تعالى.

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية ج١/١١٠.

اللهم يا مُصلح الصالحين، أصلح فساد قلوبنا، واستر في الدنيا عيوبنا، واغفر برحمتك ذنوبنا...

اللهم علِّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا رب العالمين...

اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين ولا مخزيين برحمتك يا أرحم الراحمين...

اللهم أكرمنا بإحياء أمتنا وإنقاذها، واجعل لنا نصيباً في فلاحها ونجاحها، ورُدَّنا ورد المسلمين إلى كتابك العظيم ورسولك الكريم رداً جميلاً يا أكرم الأكرمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

المجلس السادس

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس السادس

- إياك والغرور .. احذر الأنانية ..!!
- كيف تصمد أمام صعوبات الحياة ..؟
- هل من الممكن أن يكون الإنسان أصمَّ وهو يسمع ..؟!
- سبب الوقر الغفلة عن الذكر ..
- ما هو الذكر الحقيقي ...؟
- إن لم تذكر فأنت في غفلة ..فماذا بعدها ..؟!
- قل لبيك اللهم .. ولكن بالأعمال لا بالأقوال ..!
- تأمل في الفرق الكبير بين ..هؤلاء ..وهؤلاء ..!
- ذكر الله يزيل البكم عن الألسن ..
- جلسة واحدة .. قلبت الموازين ..!
- شيئان تدخل بهما على كل أمورك...؟
- اغرس وأكثر من الغراس ..
- وجِّه قلبك إلى الله دون سواه ..
- من لزم الأدب عند الباب .. وصل إلى محبة رب الأرباب..
- أَحْكِم بالذكر أبواب قلبك ..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إياك والغرور ... احذر الأنانية ..!!

أوصانا شيخنا بضرورة إدمان ذكر الله تعالى مع حضور القلب للداعي وللمريد، وأوصانا أيضاً بالذكر مع الجماعة، والاستدامة على الذكر، ففيهما نجاة المريد من أمراض النفس ومن وساوس الشيطان، ومن رؤية النفس والانخلاع عن الأنانية والدعاوى الباطلة .

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله: (إياك ورؤية النفس، إياك والغرور، إياك والكبر، فإن كل ذلك مُهلِك، ما دخل ساحة القرب مَن استصغر الناس، واستعظم نفسه، من أنا ومن أنت، كل واحد منا مسكين، أوّلهُ مُضغة وآخره جيفة .... أول مراتب العقل الانخلاع عن الأنانية الكاذبة والدعوى الباطلة... ومن لم يكن له من نفسه المواعظ، لم تنفعه المواعظ، كيف ينتفع بالموعظة من كان قلبه غافلاً...إن غلبتَ نفسك وألزَمتَها التعلُّم، وذبحت الهوى بسكين الاقتداء، وأخذت الحكمة غاضَّاً طرفك عن شرفك وعِلْمك وحسبك، وأبيك ومالِك وحالِك، فقد فزت فوزاً عظيماً، من لم يحاسب نفسه على كل نفس ويتَّهمها، لم يثبت عندنا في ديوان الرجال) [1].

(١) البرهان المؤيد ص / ٢٢ وما بعدها.

كيف تصمد أمام صعوبات الحياة ..؟

نحن نعيش في هذه الحياة تحيط بكل منا مجموعة من الصعوبات تحاول أن تشد كل واحد منا لتحرفه عن هذا الطريق ولتفتنه، وما أكثر الفتن التي تحيط بالعبد، فتن كَقِطَعِ الليل المظلم، في الليل والنهار، فما لم نواجه هذه الصعوبات بإدمان الذكر، والذكر مع الجماعة واستدامة هذا الذكر مع حضور القلب، فإننا نضعف في مواجهتها ونتراجع..

فائدة

أنت ضعيف وحدك.. ضعيف بنفسك... ينبغي أن تلتجئ إلى القوي ليقويك.. يجب أن تلتجئ إلى الله حتى يمدك بالطاقة والثبات على طريق الحق...

ثق أن الإنسان الذي هو في غفلة عن الله، وبعيدٌ عن ذكر الله، لا يستطيع أن يصمد أمام الصعوبات التي تحيط به من كل مكان، لابد لك حتى تثبت على طريق الله من إكثار ذكر الله تعالى.. الذكر الذي **قال عنه ابن القيم** كما ذكرنا في مجلس سابق: (بالذكر يستدفعون الآفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات)، ووصلنا اليوم **إلى قوله**: « به ـ الذكر. يزول الوقر عن الأسماع».

قول

هل من الممكن أن يكون الإنسان أصمَّ وهو يسمع ..؟!!

إذا أصبحت ذاكراً يزول الوقر والصمم عن سمعك.. هل من يمكن أن يكون الإنسان أصمَّ وهو يسمع؟! بالبنية الفيزيولوجية والتركيب الطبيعي إذا توفر لديه جهاز السمع من أذن خارجية ووسطى وداخلية وكان العصب السمعي سليماً وكذلك مركز السمع في الدماغ موجوداً... فهل يستطيع السماع؟ الجواب: نعم، إذاً.. كيف يُصاب بالصمم وهو يسمع!!؟

قال ربنا عز وجل في سورة الأنفال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

أثبتَ لهم السماع، هم يسمعون، ثم يتولى بعضهم عن رسول الله ﷺ! عمن يتولى!؟ يتولى عن سيدنا محمد ﷺ المؤيد من الله تعالى؟!! مع كل نورانية النبي ﷺ وكل نفحات النبوة.. وكل عطايا النبوة.. وكل حكمة النبوة.. ويتولى عن رسول الله ﷺ وهو يسمع: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة الأنفال].

من حيث السماع هم سمعوا، من حيث استقبال ذبذبات الصوت وتحرك المطرقة وطرقها على سندان الأذن ثم انتقالها عبر الأعصاب السمعية إلى مركز السمع في الدماغ هم سمعوا، لكن الله تعالى يخبرنا عن الواقع: ﴿ وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴾ الحقيقة أنهم لا يسمعون سماع الفهم، ولا يسمعون سماع الاتعاظ، لا يسمعون سماع الطاعة، لا يسمعون سماع العمل؛ لأن قلوبهم أصبحت غافلة عن الله تعالى حجبتها عنه ستائر.. هذه الستائر وهذا الرَّان يحجبها عن الحقائق، ومن ثمّ هم من حيث الظاهر يسمعون، لكن الحقيقة أنهم لن يستجيبوا لما سمعوه، لا يستجيبون لله تعالى ولا لرسول الله ﷺ فهم أموات غير أحياء، وصفهم الله عز وجل بالموتى مع أنهم يمشون ويأكلون وينامون: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة النمل] .

سبب الوقر الغفلة عن الذكر...

إن سبب عدم السمع الغفلة عن الله تعالى، ونتيجة الغفلة التولّي والإدبار عن توجيهات الله عز وجل وعن إرشادات رسول الله ﷺ، لذلك ليس المهم مجرد حضور مجالس العلم والتزكية أو مجرد السماع؛ إنما المهم هو انعكاس هذا السماع على سلوكك.. فتقوم بالأعمال التي تزيد إيمانك وتقربك إلى الله عز وجل، وهذا هو المهم.

خلال صحبتي لشيخنا لأكثر من ٤٥ سنة رأيت بعض الناس الذين حضروا دروسه ومحاضراته.. كانوا يسمعون ويحضرون، وكانوا يحملون السُّبحات .. إلا أن نتائج هذا السماع وهذه الجلسات لم تظهر آثارها و انعكاساتها على أعمالهم... فما فائدة السماع عندهم؟؟ إن لديهم وقراً بسبب قِلّة الذكر وكثرة الغفلة..

وبالمقابل صحبتُ وعرفتُ كثيراً ممن صدقوا في صحبتهم لشيخنا، واستقاموا على منهج النبي ﷺ في الذكر والمحبة والتزكية والعلم والعمل، فرأيت منهم مقامات وسلوك الأولياء المقربين حقاً ...

ما هو الذكر الحقيقي ..؟

المقصود من ذكر اللسان والأقوال أن يظهر جلياً في الأفعال، والذكر الحقيقي هو انعكاس حقائق الذكر على أعمالك؛ كما قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾ [سورة آل عمران].

فالذكر العملي هو الهدف إذا تعرضتَ لموقف ووجدتَ الخيارات لديك متعددة، بين أن تخالف فيه شرع الله استجابة لحظوظ نفسك وهواك، أو أن تصبر وتتحمل وتقهر أهواءك، فماذا أنت فاعل؟! هنا يظهر الذكر وهذا هو الذكر الحقيقي.

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله: (الدين عمل بالأوامر، واجتناب النواهي، وخضوعٌ وانكسار في الأمرين، العمل بالأوامر يقرِّب إلى الله، واجتناب النواهي خوف من الله... عاملوا الله بالتقوى، وعاملوا الخَلْقَ بالصدق وحسن الخلق، وعاملوا أنفسكم بالمخالفة، وقفوا عند الحدود، وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا) [1].

أما فيما يتعلق بحمل السّبحة فيمكن لأي إنسان أن يحملها، الهندوس والبوذيون يمكن أن يحملوها، لكن هل تجعلهم من أولياء الله ؟!..

انتبه

السُّبحة لا تجعلك من أولياء الله ..

بل الذكر الحقيقي الذي يؤثر في قلبك .. هو الذي يجعلك من أولياء الله .. الذكر الذي ينعكس فيك أعمالاً وأخلاقاً وسلوكاً منضبطاً بضوابط الشريعة...

إن لم تذكر فأنت في غفلة .. فماذا بعدها ..؟!

إن لم تذكر فأنت في غفلة ، وإن كنت في غفلة فأنت في صمم، إن لم تكن ذاكراً فأنت غافل، وقلبك ميتٌ لا يستجيب لله عز وجل، ولو سمعت المواعظ مرة ومرتين وأكثر، ولو قرأت القرآن وصحيح البخاري ومسلم وغير ذلك، لن تتحقق الفائدة المرجوّة لأنك غافل!!

لذلك قالوا

الغفلة داء للقلب ومرض .. والذكر شفاء من كل داء وعَرَض.

(١) البرهان المؤيد ص ١٧ .

عليك أن تحرض نفسك على الذكر، حتى تعمل لديك آلية السمع وتعمل معها آلية ثانية .. آلية الاستجابة لله تعالى..﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة النمل] أي: فهم مستسلمون لأوامر الله تعالى .

قل لبيك اللهم .. ولكن بالأعمال لا بالأقوال..!!

أنت تحتاج إلى الذكر حتى تستجيب وتستسلم لأوامر الله، فإذا دعاك بعدها قلت: (لبيك اللهم) ، (لبيك) لا باللسان فحسب بل (لبيك) بالأعمال..إذا سمعت قول الله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة النور]. هل تستجيب لله . هل تلبيه عملاً (لبيك الله لبيك) .. وإذا قلت بلسانك (لبيك اللهم لبيك) وأنت تخالف الشرع!! لن تفيدك هذه التلبية يوم القيامة .

ينبغي أن تقول: (لبيك) أعمالاً، (لبيك) استجابة، (لبيك) شوقاً، (لبيك) حُباً، (لبيك) التزاماً، هذه حقيقة الذكر وحقيقة التلبية.

تأمل في الفرق الكبير بين هؤلاء ..وهؤلاء ..؟!

ماذا قال الله تعالى عن اليهود فيما يتعلق بهذا المعنى؟.﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة البقرة]. قالوا: سمعنا، لكن ماذا بعد سمعنا (**سمعنا وعصينا**) لأن القلوب ميتة، القلوب غافلة، لقد كُسيت بالرَّان فحُجِبت عنها أنوار الله تعالى، فلم تعد قادرة على الاستجابة للنداء.

أما أهل الإيمان فقالوا: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [سورة البقرة] ، وقالوا أيضاً: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة النور]. هم أهل الفلاح والنجاح، هم الذين يصمدون في معركة الدعوة، هم الذين يؤثرون ويصبغون ولا ينصبغون...

آلاف مؤلّفة تأتي إلى المساجد، ولا يبقى ويثبت إلا خلاصة الخلاصة، الذين صدقوا والتزموا منهج الدعوة القويم إلى الله... هؤلاء هم الذين استمروا، أما الذين لم يشتغلوا بالذكر، بل اشتغلوا بأهوائهم، أين هم الآن..؟! إنهم خارج المساجد، وحياتهم وسلوكهم ليسا أنموذجاً عن الحياة الإسلامية الصحيحة، وأولادهم لم ينشؤوا التنشئة الإسلامية الصحيحة.

تنبيه

إذا غفل القلب وأصيب السمع بالوقر يحجب القلب عن كل شيء... يحجب عن رسول الله ويحجب عن الله... ويحجب عن كتاب الله...

قال تعالى بحق الغافلين عن الذكر: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الكهف]. فإذا قرؤوا القرآن حجبهم عنه حجاب، وإذا خاطبهم النبي عليه الصلاة والسلام بالقرآن: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [سورة الأنعام:٢٥] اللهم أجِرْنا! ولا تجعلنا منهم...

إنسان كامل ظاهراً... مُعطَّل من الداخل، إذا كان الإنسان كامل الصفات ظاهراً، جوارحه سليمة، لكنه معطل من الداخل، بسبب غفلته عن الله تعالى... عندئذ تكون حياته شقاءً بشقاء، حياته مملوءة بالتعاسة، حياته مملوءة بالحزن، حياته مملوءة بالقلق، كل ذلك لأن القلب غير مطمئن بذكر الله تعالى.

ذكر الله يزيل البكم عن الألسن...

قول

يقول ابن القيم عن الذكر: (به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن)[1] إذا ذكرت الله تعالى فعندها يمكنك أن تسمع حقيقةً، وعند ذلك يفقه قلبك عن الله تعالى... وإذا ذكرت يصبح لسانك ناطقاً بالله تعالى... ويصبح لسانك مؤثراً ومُعبراً عن حقائق المعرفة بالله تعالى...

كيف يتكلم الإنسان وهو أبكم؟ لأنه يتكلم ولا يؤثر، يتكلم ولا يستطيع أن يوصل إلى الناس الحقائق، يتكلم ولا يستطيع أن يغير من طبائع جلسائه، فهو والأبكم بالنتيجة سواء.

فائدة

إذا أصبحت ذاكراً لله ... تنضم لقوتك قوة أخرى
لأنك تنطق بالله ولله ...

جلسة واحدة .. قلبت الموازين..؟!!

وردت آية في سورة يوسف يغفل عن بعض معانيها كثير من الناس وذلك حين دعا الملك سيدنا يوسف: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ﴾ ثم بجلسة واحدة وبكلام بسيط خاطب به سيدنا يوسف الملك، قُلبت الموازين ﴿ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة يوسف].

أي بلاغة ودقة تجلّت في أسلوب خطاب سيدنا يوسف للملك، خلال الدقائق التي تكلم بها؟، ما هي الحجة والبرهان والدليل والمنطق والبيان الذي استخدمه؟ حتى استطاع باليسير من الوقت والقليل الوجيز من الكلمات أن

(١) مدراج السالكين (٢/٤٢٤).

يستحوذ على قلب الملك، ويحظى بقناعته ليصدر أمراً فورياً بتمكينه وتوليته وجَعْله وزير المال ورأس الحكم..﴿ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ ما هي الكلمات التي تكلّم بها؟!! .

إن الموضوع مرتبط بحال سيدنا يوسف عليه السلام، وصلته مع ربه عز وجل، وكما قال تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال:١٧]. **وكما ورد أيضاً في الحديث القدسي** : «وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلي بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها» (١).

قول

يقول ابن عطاء السكندري: (تسبق أنوار الحكماء أقوالهم، فحيثما صار التنوير وصل التعبير. **وقال**: كل كلام يبرُزُ وعليه كسوة القلب الذي برز منه. **وقال**: مَنْ أُذن له في التعبير، حَسُنت في مسامع الخلق عبارته، وجُليتْ إليهم إشارته) (٢).

قول

يقول ابن عجيبة في شرح كلام ابن عطاء: (فإذا عبّر، أخذ بمجامع القلوب، وفاض من لسانه أسرارُ علم الغيوب، فتحسُن في مسامع الخلق عبارتُه، وتُجْلى إليهم إشارته؛ أي: تظهر وتُفهم، ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام وإعرابه، ولا خطأ في رفعه ونصبه من صوابه، وإنما العبرة بالمعاني دون القوالب والأواني.

حكاية

يُحكى أن بعض النحويين دخل مجلسَ الحسن بن سمعون ليسمعَ كلامه، فوجده يلحنُ، فانصرف ذامّاً له، فبلغ ذلك الحسنَ، فكتب له: إنك من كثرة

(١) أخرجه البخاري ٥/٢٣٨٤.

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص /٣٠١ ومابعدها.

الإعجاب رضيت بالوقوف دون الباب، فاعتمدتَ على ضبط أقوالك مع لحن أفعالك، وإنك قد تهتَ بين خفضٍ ورفع ونَصْبٍ وجزم، فانقطعت عن المقصود ، هلا رفعت إلى الله جميع الحاجات، وخفضت كل المنكرات، وجزمتَ عن الشهوات، ونصبتَ بين عينيك الممات؟.

والله يا أخي ما يقال للعبد: لم لَمْ تكنْ معرِباً، وإنما يُقال له: لم كنتَ مُذْنِباً، ليس المرادُ فصاحةَ المقال، وإنما المراد فصاحة الفِعال، ولو كان الفضل في فصاحة اللسان، لكان سيدُنا هارون أولى بالرسالة من سيدنا موسى حيث يقول: ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا ﴾[سورة القصص٣٤].

ومما يُنسَب للخليل . رحمه الله . أو لسيبويه:

شعر

لسانٌ فصيحٌ مُعربٌ في كلامه فيا لَيْتَهُ مِنْ وَقفَةِ العَرض يَسلَمُ

ولا خيرَ في عبدٍ إذا لم يَكنْ تُقىً وما ضَرَّ ذا تقوى لسانٌ مُعَجّمُ

وقال آخر:

مُنحرفٌ بالفِعالِ وذُو زَللٍ وإنْ تكلَّمَ في جِدالِهِ وَزَنَهْ

قال وقدْ كَتَبتُ لَفْظَتَهُ تِيْهَاًوعُجْباً أخطأ ما لَحَنَهْ

وإنَّما أخطأ مَنْ قَامَ غَداً ولا يُرى في كِتابِهِ حَسَنَهْ

وكان شيخ شيخنا ﷺ إذا ذكر من تقدّمه في العربية يقول له: أنت اترك شيئاً من عربيتك، وأنا أترك شيئاً من جِبِلّيتي . يعني: من اللغة الجبلية .، ونلتفت للطريق . والحاصل: أن من اجتمع فيه الحال وفصاحة المقال، فهو كمال الكمال) [1]. إذن الموضوع كله مرتبط بحال المتكلم مع الله .

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص ٣٠٤.

سؤال

كيف حالك مع الله ؟!.. إذا كان حالك مع الله، قوياً، فأنت موصول، وإمدادك مستمر، وسيكون لكلامك قوة مختلفة ، وتأثير كبير...

شيئان تدخل بهما على كل أمورك..؟!!

لذلك عندما تدخل على كل أمورك . بما يستفاد من الآية الكريمة – على ملك أو على وزير أو على أي شخص وفي أي حقل من أعمالك ينبغي أن تدخل بشيئين:

أولاً : تدخل بالله عز وجل، ثم بالعلم والخبرة فيما تهدف إليه... ادخل بالله ومع الله وبشعورك الدائم بمعية الله... لا تدخل بنفسك بل بإمداد الله لك..

ثانياً : تأهيلك لنفسك بالذكر والتهجد وقراءة القرآن وبالأذكار والأوراد الجهرية.

هذا الشعور الدائم بالمعية والمراقبة لله تجعل لك حالاً قوياً مؤثراً إذا تكلمت، كما تكلّم سيدنا يوسف ببضع كلمات فغيّر حال الملك.

هل الملك كالطفل يؤخذ ببضع كلمات أم يكون عادة من النُخب!؟ إن الملوك يعرفون الكثير من أساليب الكلام من المادحين والمداهنين فلا تنطلي عليهم مثل هذه الأساليب... إن الحال القوي مع الله هو الحال المؤثر...«**فالذكر يزيل البكم عن الألسن**» فيصبح لسانك نبعاً للمعارف... فما الذي أنطق اللسان؟ الذي أنطقه الحب لله تعالى..«به يزول الوقر عن الأسماع والبكم عن الألسن وتنقشع الظلمة عن الأبصار». ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة الحج] .

وصية

بالحب يصبح الأصم سامعاً... ويصبح الأبكم متكلماً ...
ويصبح الأعمى مبصراً ...
ينبغي أن تشتغل بحب الله تعالى ... وأن تشتغل بالذكر

اغرس وأكثر من الغراس...

قول

ثم يقول ابن القيم : «زيَّن الله به ـ الذكر ـ ألسنة الذاكرين»...

في كثير من الأحيان تستطيع أن تحرك لسانك بذكر الله، وأنت تمشي في الطريق وأنت تركب السيارة شغل لسانك بذكر الله، **ورد حديث عن النبي ﷺ قال**: «لَقِيتُ إبراهيم لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فقال يا محمد أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ولا إِلَهَ إلا الله وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[1].

إذا كتب الله لك الدخول إلى الجنة فهنالك من يجد جنته من كثرة ما زرع ﴿ ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة الرحمن]. بستانه مملوء نضارة وثماراً وأزهاراً لاشتغاله على الدوام بالغراس... وإذا دخلت إلى هناك ولم تكن زرعت في الدنيا فلن تجدها كجنة من زرع... قال الشاعر:

شعر

إذاَ أنْتَ لَـمْ تـزْرعَ وأبْـصَرْتَ حَاصِـداً نَدِمْتَ على التَّفريْطِ في زَمَنِ البذرِ[2]

وقال الشاعر:

سَيَحْـصُدُ عبْـدُ الله مـا كَـانَ زارِعَـاً فطُـــوبَى لِعَبْـــدٍ كـــانَ للهِ يـــزرعُ

اشتغل بذكر الله حتى وأنت في السيارة وأنت تمشي مادمت قادراً، وفي حال تستطيع أن تذكر هذه الأذكار الجهرية أو غيرها من الأذكار فافعل...

(١) أخرجه الترمذي (٥/٥١٠)، وقال: «حديث حسن».
(٢) العقد الفريد ج٣/١٤٢.

«سبحان الله» ولكن مع الحال وليس لقلقة لسان فحسب... «الحمد لله» مع الحال... تُنَزِّه الله وتحمد الله... «ولا إله إلا الله» مع الحال... «والله أكبر» مع حال الحضور...

فائدة

من يشهد بحال الحاضرِ قلبُه أن الله أكبر، هل هنالك شيء في الحياة يرهبه أو يخاف منه ..

وجِّه قلبك إلى الله دون سواه...

إذا أردتم أن تجتمعوا في الجنة فعليكم أن تكثروا من ذكر الله تعالى... مثلما **قال شيخنا**: «الإدمان على ذكر الله تعالى مع حضور القلب..»، وإذا لم تستطع أن تجعل قلبك حاضراً في الذكر فينبغي أن تحاول، فالذكر هو عملية تدريب للقلب، كلما شردت رجعت وركّزت.

ينبغي أن تمتلك الإرادة والتصميم والعزيمة على الذكر... كلما شردتَ حاولت الرجوع إلى الذكر، كالذي يحاول أن يلتقط محطة من محطات المذياع فإذا تشوّشت عُد وحاول التقاطها صافية...

وهكذا في الصلاة أيضاً.. عندما تقف بين يدي الله، تقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [سورة الفاتحة]. هناك من المصلّين من لا يستحضر أي معنى من معاني العبادة على الإطلاق من حين نطقه بتكبيرة الإحرام إلى تسليمته الثانية، لأن أداء الصلاة بحركاتها المعروفة صارت راسخة في عقلنا الباطن، ونستطيع أن نؤديها دون أن نفكر فيها .. أي صار العقل الباطن حافظاً، وتكون عدد الركعات صحيحة، ولكن دونما حضور في الصلاة على الإطلاق...

فإذا دخلت في الصلاة وقلت ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ولم تر نفسك واقفاً بين يدي الحضرة الإلهية، وأنك تحمد الله عز وجل حقيقة الحمد النابع من داخل القلب فينبغي أن تعيد وتعيد ... تعيد الحمد لله .... ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ وأنت تشعر بأنك متوجّه إلى رب العالمين وأنك تخاطب الله بصدق العبودية... تطلب الاستعانة من الله عز وجل «**وإياك نستعين**»...

إذا لم يكن لديك هذا الإحساس وهذا الحال، تطوي الملائكة صلاتك وتضربها في وجهك؛ وفي التشهد: «**التحيات لله**» يخاطب بعضنا الحضرة الإلهية وهو في مكان آخر، في عالم آخر، فينبغي أن تُعيد حتى يكون قلبك حاضراً ومتذوقاً لذة التحيات لله تعالى ..وإذا كنت في التشهد وقلت : «**السلام عليك أيها النبي**» تخاطب النبي عليه الصلاة والسلام، ينبغي أن ترى نفسك واقفاً بين يدي الرسول ﷺ، وأنت تلقي السلام على رسول الله، إذا لم تشعر بدقة بهذا الشعور فالسلام غير صحيح، ينبغي أن تعيد حتى تتذوق جمال ولذة وطرب القلب بالتحيات لله والسلام على رسول الله..

من لزم الأدب عند الباب وصل إلى محبة رب الأرباب..

قول

يقول ابن القيم: (... وهو باب الله الأعظم [الذكر] المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته).

فلا تغلق هذا الباب الأعظم الذي يأتيك منه الفضل الإلهي والمعونة الإلهية، ويأتيك منه العلم: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥﴾ [سورة الكهف]، ويأتيك منه الإمداد ويأتيك منه العناية... احرصْ على جعل هذا الباب مفتوحاً بينك وبين الله، ولا تغلقه بالغفلة عن الله تعالى.

أَحْكِمْ بالذكر أبواب قلبك..

قول

ثم يقول ابن القيم: (وبالذكر يَصرَعُ العبدُ الشيطان، كما صَرَعَ الشيطانُ أهلَ الغفلة والنسيان)، إذا كنت من أهل الغفلة فإن باب قلبك مفتوح لوساوس الشيطان ونفثه، يتلاعب بك ويُرديك المهالك، فاجعل لقلبك واعظاً من الذكر، وأحكِم بالذكر أبواب قلبك، ونوّر هذا القلب بنور الذكر، فإن أنوار الذكر تحرق الشيطان وتصرعه.

يقول ابن القيم: (وهو[الذكر] روح الأعمال الصالحة فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه). فالذكر حياة القلب والأعمال فلا تطفئ شعلة الحياة في أعمالك بغفلتك عن الله تعالى...

اللهم يا رب أحي قلوبنا وأعمالنا بذكرك، واجعلنا من أهل خاصتك، وأكرمنا بسعادة قربك وجلال حبك، وجمال أنوارك، وحفَّنَا بألطافك الخفية، وأَعِذْنا من كل بلاء وبلية، ومن شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

المجلس السابع

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس السابع

- الذاكرون هم أهل السبق إلى مقامات القرب ...
- الذكر الحقيقي ..
- ذكر الصدِّيق رضي الله عنه ..
- أين أهل الذكر ..؟!
- ابدأ بنفسك .. فإن فاقد الشيء لا يعطيه ..
- هل تحب أن تكون من المذكورين عند الله عز وجل ..؟!
- صوته معروف عند الملائكة ..
- الذاكرون .. يُذكرون عند الله تعالى ...
- النور ثمرة الذكر ...
- كم خسر الغافل عن الله ...؟!
- الذكر خير الأعمال عند الله تعالى ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الذاكرون هم أهل السبق إلى مقامات القرب ...

الذاكرون هم السابقون المقربون إلى الله تعالى، والدليل **حديث النبي ﷺ عن أبي هريرة** رضي الله عنه **قال**: كان رسول الله ﷺ يسير في طريق مكة، فمرّ على جبلٍ يُقال له: (جُمْدان) **فقال**: «سيروا هذا جُمْدان سبق المفرِّدون»، قالوا: وما المفَرِّدون يا رسول الله قال «الذَّاكِرُونَ الله كَثِيْراً والذَّاكِرَات»[1].

الذاكر هو السابق، هل تحب أن تكون من السابقين إلى الله؟ ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الواقعة]. إذا كنت تحب أن تكون من أولئك السابقين؟ فعليك أن تكثر من ذكر الله قال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [سورة الأحزاب].

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٦٢).

الذكر الحقيقي...

ربما يتبادر إلى الذهن أن فلاناً من الناس يجلس للذكر ساعة أو ساعتين أو أربع ساعات، فهل يُعدُّ من الذاكرين لله كثيراً؟!. لقد ذكرنا في مجلس سابق، أن مجالس الذكر التي نقوم بها إنما هي تدريب على الذكر، أما حقيقة الذكر فهي أن تذكر الله تعالى على كل حال، كما كان عليه الصلاة والسلام. **حيث روي عن السيدة عائشة** رضي الله عنها: «كَانَ النَّبِي ﷺ يَذْكُرُ اللَّه عَلى كُلِّ أحيانه»[1].

سيدنا يوسف عندما دعته امرأة ذات حُسْن وجمال ماذا فعل؟ ذكر الله... هنا يظهر الذكر، هذا هو الذكر العملي...

فإذا انتهيتَ حيث يجب أن تنتهي، ووقفت عند حدود الله، والتزمتَ أوامر الله، فأنت ذاكرٌ حقاً لله تعالى. أما إذا أمسكت السُّبحة وجلستَ للذكر ٢٤ ساعة، في حين أنك عند النواهي لا تذكر الله، وعند الأوامر لا تذكر الله، فأنت لست من الذاكرين، لا قليلاً ولا كثيراً، لأن ذكرك يجب أن يظهر في الأعمال.

فائدة

عند الأوامر وعند النواهي ..يظهر الذاكر الحقيقي

لأن الذكر يجب أن يظهر في الأعمال..

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله: (وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا... إياكم والكذب على الله والخلق، فإن الدعوى (الإدعاء) كذب على الله وخَلْقه ... الدين عمل بالأوامر واجتناب عن النواهي، وخضوع وانكسار في الأمرين، العمل بالأوامر يقرب إلى الله، والاجتناب عن النواهي خوف من الله، طلب القرب بلا أعمال محال وأي محال ... اطلبوا الله بمتابعة رسول الله ﷺ، إياكم وسلوك طريق الله بالنفس والهوى) [2].

(١) متفق عليه.

(٢) البرهان المؤيد ص : ١٧.

ذكر الصدِّيق رضي الله عنه..

حكاية

كان لأبي بكر الصديق مملوك يغل[1] عليه، فأتاه ليلة بطعام، فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما لك كنت تسألني عن كل ليلة، ولم تسألني الليلة؟ فقال: حمَلَني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقَيتُ لهم فوعدوني فلما كان من اليوم مررتُ بهم فإذا عرس لهم فأعطوني فقال له: إن كِدْتَ تهلكني فأدخل يده في حَلْقِه، وجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج (اللقمة)، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل هذه اللقمة؟ قال: لولم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعتُ **رسول الله** ﷺ **يقول**: «كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِه»، فخشيت أن ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة[2].

أين أهل الذكر..؟!

وهناك أناس من إذا عرض عليه النظر إلى الحرام استغرق في النظر!! فأين ذكر الله؟ وأين الذاكرون؟..وأين أهل الأذكار؟.

يدعوك أحدهم للتدخين والله يدعوك لترك الخبائث[3]، قال تعالى:

---

(١) يشتغل عنده ليكسب من إنتاجه.

(٢) كنز العمال، ج١٢/٢٣٦.

(٣)ولعل سائلاً يسأل: **هل التدخين من الخبائث؟**.

والجواب على هذا السؤال لا يستلزم كبير جهد ولا عظيم تفكير، لأن الخبيث كل ما يؤذي الإنسان في صحته، أو في روحه، أو في عقله، فهل يستطيع أحد أن يثبت فوائد للتدخين؟ ما فائدة التدخين؟ هل يُهدِّئ الأعصاب؟!.

بل هو يخدر ويتلف الأعصاب...و هدوء الأعصاب يكون بذكر الله...

إن هدوء الأعصاب يكون بذكر الله، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ

﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الرعد]. ولذلك **قال إبراهيم بن الأدهم**: «لو يعلم الملوك ما نحن عليه من اللذة لقاتلونا عليها بحدِّ السيوف». إن في ذكر الله، وفي صلة القلب بالله، وفي طمأنينة القلب بالله، وفي جمعية القلب على الله، حالة من السعادة لا يمكن أن تحصل عليها بأي طريقة أخرى.

التدخين... يخرب الأعصاب.

من يدّعي بأن التدخين يُهدئ الأعصاب فهذا يجانب الحقيقة تماماً، بل هو يخرب الأعصاب، انظروا إلى من مارس التدخين كثيراً تجدوه سريع الغضب، وعندما يواجهه أي أمر تجده يشعل سيجارته ويبدأ بالتدخين...فلم تعد له قدرة على مواجهة أبسط الأمور...

فالتدخين هدَّأ أم خرب أعصابه؟ لقد أثر على خلايا جهازه العصبي، وأثر على خلايا دماغه، وهذا لا يظهر مباشرة عند أول لفافة (سيجارة).

إنه يخرب البنية الداخلية للخلية بسبب المواد المسرطنة التي يدخلها إلى جسمه، فبسبب ذلك تخرج الخلية عن قواعد التكاثر، وتصبح خلية سرطانية، بدلاً من أن تكون منضبطة بالضوابط التي وضعها رب العالمين.

مثال: الأذن عند أول الولادة تكون بحجم معين، فتتكاثر الخلايا بداخلها بشكل متناسق مع السنِّ، فلو أن هذه الخلايا في الأذن استمرت في التكاثر فماذا يحدث؟.

من الذي يضبط لك هذا الميزان لهذا الكم الهائل في خلاياك؟ إنه الخالق البارئ المصور.

أنفك عندما تولد يكون صغيراً، قارن أنفك مع أنف طفل ولد حديثاً، تجد أن أنفك أكبر من أنفه بعدة مرات، فلو استمر أنفك بالكبر!!! من الذي يضبط هذه الخلايا لك؟ إنه الله تعالى، فإن لم تستجب لله... فإن القوة المنظمة الداخلية في الخلية تخرج عن طورها... وتتكاثر الخلايا بشكل عشوائي... وهذا هو السرطان.

ما هو السرطان؟ هو تكاثر عشوائي غير منضبط للخلايا، وينشأ عن ذلك الورم.

هنالك أفلام وثائقية للمصابين بمرض السرطان جراء التدخين.

ومنهم شاب بكامل صحته، بدأ في التدخين، واستمر عليه إلى أن ظهر في وجهه ورم، وعند فحصه ظهر بأنه ورم سرطاني، فأجرى عملية جراحية وأزال هذا الورم، بعد مدة ظهر في مكان آخر بوجهه، ثم بعد زمن أصبح وجهه مشوهاً بشكل يصعب على الإنسان أن يصوّب النظر إليه، أنت بكل عنفوانك ورجولتك يصعب عليك أن تنظر إليه، وذلك من كثرة التشويه الذي حصل في وجهه، وكأنه ليس بوجه إنسان.

فهل هنالك فائدة للتدخين!!. وهل تريد تطبيق كلام الله أو تطبيق كلام غيره؟.

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ ﴾ [سورة الأعراف]، هل أنت ذاكر لله، إنْ كنت ذاكراً لله تستجيب مباشرةً لأوامر الله.

وصية

ينبغي عليك أن تذكر الله عز وجل ، ذكرا عملياً عند الأوامر والنواهي، وهذا إن كنت مسلماً فقط..أما إن كنت داعياً إلى الله فذاك أمر أوجب وأخص.. وصلة قلبك بالله يجب أن يكون لها برنامج آخر...

ابدأ بنفسك ... فإن فاقد الشيء لا يعطيه ..

ينبغي أن تكون معلم الذكر، تعلم طمأنينة القلب بذكر الله عز وجل، أما إن كنت فاقداً لهذا كله فكيف تعلمه للآخرين؟! عندها يقال لك ، كما

كثير من الناس في وقتنا الحاضر مدخنون، ولدى كثير من الشباب مفهوم بأنه عندما يدخن يدخل طور الرجولة.

وهناك من علماء الدين من يدخن لاعتقادهم عدم وجود دليل على حرمة التدخين!!

وذلك لأنهم يعملون في دائرة البحث الفقهي فقط، ولم يطلعوا على الأبحاث المتخصصة في الطب وعلوم الخلية والنواة، وبالتالي كانت خبرتهم محدودة جداً بالحقائق الطبية.

فعلاً إن الفقهاء من أكثر من مئة سنة وبسبب عدم وجود خبرة طبية لديهم؛ اختلفوا في حرمة التدخين، أو جوازه، أو كراهته...

أما الآن فيستند العلماء في المجمعات الفقهية؛ إلى أحكام الفقه ويستندون إلى العلم الحديث التخصصي، فيشرح الطبيب الأمر بكل جوانبه أمام عدد من كبار الفقهاء، سواءٌ كان الموضوع عن التدخين أو عن غيره، وبناءً على ذلك يتم الاجتهاد الفقهي واعتماد الحكم الشرعي. .

فعلى الإنسان العاقل أن يتوقف فوراً عن التدخين... إن الدين والحقائق العلمية وعقلك وقلبك يقرّون بعدم صحة هذا الأمر...إن التدخين إضاعة للمال... وتخريب للجهاز العصبي... واحتمال كبير جداً بالإصابة بمرض السرطان في المجاري التنفسية

أنشد ابن السماك: [1].

شعر

يَـــا أيُّهـــا الرَّجُـــل المعلّـــم غيْـــرَهُ هـــلاّ لنفـــسِكَ كَـــانَ ذا التَّعلـــيمُ
تَصِفُ الدَّواء لذي السَّقَامِ وذي الضنى كَيْمَـــا يـــصحّ بـــه وأنـــتَ سَـــقِيْمُ
ونـــراكَ تـــصلحُ بالرَّشـــادِ عُقُولنـــا أبـــداً وأنـــتَ مـــن الرَّشـــادِ عـــديمُ
فابـــدأ بنَفـــسِكَ فإنهـــا عَـــنْ غَيّهَـــا فـــإذا انتَهَـــتْ عنـــهُ فأنـــتَ حكـــيمُ
فهنـــاكَ يقبَـــلُ مَـــا تقُـــولُ ويهتـــدى بـــالقول منـــكَ وينفَـــعُ التعلّـــيمُ
لا تَنْـــهَ عـــنَ خُلُـــقٍ وتَـــأتيَ مثْلَـــهُ عـــارٌ عليـــكَ إذا فَعَلْـــتَ عَظِـــيْمُ

ورد في الأثر أن الله عز وجل أوحى إلى سيدنا عيسى عليه السلام: « عظ نفسك فإن اتعظت، وإلا فاستحِ مني أن تعظ الناس»[2] فكيف تعظ الناس وأنت مقصر فيما تعظهم به؟.

قول

ويقول سيدنا علي رضي الله عنه: (من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تهذيبه بسيرته قبل تهذيبه بلسانه، ومعلم نفسه ومهذبُها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم) [3].

هل تحب أن تكون من المذكورين عند الله عز وجل؟

قول

يقول ثابت البناني رحمه الله: (إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل، ففزعوا وقالوا كيف يعلم ذلك؟! فقال: إذا ذكرته ذكرني) [4].**ورد في الحديث**

(١) ينظر: كتاب البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي المجلد الثاني،القسم الأول ص١٥٦.
(٢) ينظر: مدارج السالكين ج٢/٢٦٠.
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف، ج١/٤٨.
(٤) إحياء علوم الدين، ج١/٢٩٤.

الصحيح: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِه ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»[1].

ومن أنت ليذكرك الله تعالى خالق السماوات والأرض؟!. إنه أمر جلل!. والله لو أننا عرفنا الله تعالى حق المعرفة، لَسَقَط الواحد منا صعقاً من حقيقة معرفته لمعنى أنه يُذكر عند الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [سورة الأعراف ١٤٣] .

قول

يقول الكتاني : (من شرط الذكر أن يصحبه الإجلال والتعظيم له، وإلا لم يفلح صاحبه في مقامات الرجال) ، **وكان يقول**: (لولا أنَّ ذِكره فرضٌ عليَّ لم أذكره إجلالاً له، مثلي يذكره ولم يغسل فمه بألف توبة مُتقبَّلة عن ذكره) [2].

أتُذكر أنت عند الله عز وجل؟!..أتصبح أنتَ مذكوراً عند الله عز وجل؟!. أي مقام هذا؟! هذا الكرم الإلهي، هذا الفضل الإلهي، هذه المنة الإلهية على عباده، منة من عند الله يهبك إياها... «مَنْ ذكَرني في نفسهِ ذَكرتُهُ في نَفسي، ومَن ذَكَرني في مَلأ ذكرتُهُ في مَلأ خيرٍ منهم»، فإذا صرتَ من المذكورين عند الله عز وجل، وكنت في ضيقٍ أو محنة أو كرب وناديت الله واستغثت بالله تعالى أجابك الله وأجارك ولبَّاك.

صوته معروف عند الملائكة...

حكاية

كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يكنى: أبا مِعْلَق، وكان تاجراً يتجر بمال له ولغيره، يضرب به في الآفاق، وكان ناسكاً ورعاً، فخرج مرة فلقيه لصٌ مقنع في السلاح، فقال له: ضع ما معك فإني قاتلك

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/٣٥٤).

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، ج٥٤/٢٥٦، وفي الأنساب ج٥/٣٣..

قال: ما تريد إلى دمي؟ شأنك بالمال، قال: أما المال فلي، ولست أريد إلا دمك قال: أما إذا أبيت، فذرني أصلي أربع ركعات، قال: صل ما بدا لك، فتوضأ، ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: «**يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعالاً لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني**».

قال: دعا بها ثلاث مرات، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه، فقتله ثم أقبل إليه، فقال: قم قال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم، قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول، فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني، فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لي: دعاء مكروب، فسألت الله تعالى أن يوليني قتله.

قول

قال أنس: (فاعلم أنه من توضأ، وصلى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء، استجيب له مكروبا كان أو غير مكروب)[1].

وصية

هل صوتك معروف؟...

هل تقوم بالليل وتستغيث لكي يصبح صوتك معروفاً؟...

«من تعرف إلى الله في الرخاء تعرف الله عليه حين الشدة»[2]

أما إذا لم يكن لك حضور مع الله عز وجل!...

ولم تكن لك مكانة عند الله عز وجل!...

فكيف تطمع أن يستجيب الله لك؟!...

(١) كتاب مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا ص٦٣.

(٢) أخرجه الحاكم ج٣/٦٢٣.

هذا الصحابي له مكانة عند ربه، وكان يلبي نداء الله، فلبَّاه وأنقذه الله تعالى في تلك اللحظة التي يحتاج فيها الإنسان إلى الإغاثة من حضرة الله عز وجل.

الذاكرون .. يُذكرون عند الله تعالى..

قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [سورة البقرة]

ويقول رسول الله ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرُونَ الله فِيْه إلاَّ حَفَّتْهُم الملائِكَةُ وتغشَّتْهُم الرَّحْمة وتَنَزَّلت عَلَيْهم السَّكِيْنةُ وَذَكَرَهُم اللهُ فِيْمَنْ عِنْدَه»[1].

عندما تَنْزل السكينة في القلب تهدأ الأعصاب، بل لقد ثبت طبياً: أن السكينة والطمأنينة والراحة النفسية تزيد من قدرة جهاز المناعة في الجسم، وأن الشدة النفسية تُضعِف من قدرته، لذلك عندما تَنْزل السكينة في قلبك فليس هنالك أحد يرهبك أو يخيفك، أنت مع الله والله تعالى ينْزل عليك السكينة، عندما نزّل الله سكينته على الصحابة في معركة حنين هل ثبتوا أو هزموا؟ نجحوا أو أخفقوا؟ نزلت عليهم السكينة فقاتلوا وانتصروا، وحقق الله لهم النصر: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سورة التوبة]، ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الفتح] .

(وذكرهم الله فيمن عنده).. تجلس في جلسة تذكر الله فيذكرك الله فيمن عنده. هذا الحديث يحتوي على عدة فوائد... ومنها أنك تحصل على السكينة، وتغشاك الرحمة وتحفُّك الملائكة والرابعة أن يذكرك الله.

أفلا يجب علينا أن نكثر من ذكر الله؟، أفلا يجب علينا أن نقبل على الله؟، أفلا يجب علينا أن نشتاق لذكر الله؟، وذلك لأنك بالذكر تحصل على هذه الفوائد الأربعة.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/١٢٤٥).

النور ثمرة الذكر..

وإذا أكثرت من ذكر الله تعالى طهَّرَ ونوَّر الله قلبك وأعضاءك، وشرح صدرك ورقَّى روحك، وجعل لكلامك نوراً يسري في قلوب سامعيك ، فيدلهم على الله تعالى، ويحببهم ويقربهم إليه.

كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهُمَّ اجْعَلْ في قَلْبِي نُورًا وفي لِسَانِي نُورًا وَاجْعَلْ في سَمْعِي نُورًا وَاجْعَلْ في بَصَرِي نُورًا وَاجْعَلْ من خَلْفِي نُورًا وَمِنْ أَمَامِي نُورًا وَاجْعَلْ من فَوْقِي نُورًا وَمِنْ تَحْتِي نُورًا اللهم أَعْطِنِي نُورًا»[1].

قول

يقول ابن عجيبة: (وأعظم الأعمال التي توجد ثمرتها عاجلاً أو آجلاً هو ذكر الله، وثمرته هو النور الذي يشرق في القلب فيضمحل به كل باطل. والناس في هذا النور قسمين:

- **قسم** سكن النور قلبهم فهم ذاكرون على الدوام..
- **وقسم** يطلبون وجودَه بأذكارهم ..

قول

وإلى هذا أشار **ابن عطاء السكندري بقوله:** (قومٌ تسبق أنوارُهم أذكارَهم، وقوم تسبق أذكارُهم أنوارَهم). **وقوله أيضاً:** (ذاكرٌ ذكرَ ليستنير قلبُه، وذاكرٌ استنار قلبُه فكان ذاكراً)[2].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [سورة العنكبوت]

وقال الشاعر:

شعر

وإذا حلّت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم.

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لابن عجيبة ص٣٩٩ ومابعدها.

قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الحديد]

كم خسر الغافل عن الله..؟!

كم هو قليل الحظ من لا يلبي الدعوة لمجالس الذكر، لأنه يريد أن يعيش في مجالس الغفلة! أليس هذا من علامات الخذلان؟ ما رأيكم بشخص فُتح له باب وراءه كنْز، ويُعرضُ عليه أن يأخذ منه ما يشاء من العطايا فيرفض، أليس هذا من أهل الخذلان؟ ألا يكون فاقداً لعقله...

كم يخسر الغافل عن الله تعالى!؟ ذاك الذي يترك مجلس الذكر الذي تحفه فيه الملائكة، وتغشاه الرحمة، وتنزل عليه السكينة، ويذكره الله فيمن عنده.

فائدة

انظر إلى الناس البعيدين عن الذكر الغارقين في الغفلة!!.. إنهم يعيشون حالات من القلق والتعب النفسي... أما الذاكر فيتقلب في نعمة السكينة والطمأنينة والرضى..

يقول رسول الله ﷺ: «عَجَباً لأمْرِ الْمؤمِن إنَّ أَمْرَهُ كُلّهُ خيرٌ، وَلَيس ذَاكَ لأحدٍ إلاّ لِلمُؤمِن، إنْ أَصَابَتْهُ سَرّاء شَكَر فَكَانَ خيْرَاً لَهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاء صَبَرْ فَكَانَ خَيْرَاً لَه»[1].

قول

يقول ديل كارنيجي: (إن أطباء النفس يدركون أن الإيمان القوي، والاستمساك بالدين كفيلان بأن يقهرا القلق والتوتر العصبي، وأن يشفيا هذه الأمراض).

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٢٩٥).

الذكر خير الأعمال عند الله تعالى...

قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبّئكم بخيرِ أعْمَالكم وَأزكَاهَا عِنْدَ مَلِيْكِكُم وَأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُم وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُم فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَه وَيَضْرِب أَعْنَاقَكُم»، قالوا: بلى يا رسول الله، **قال**: «ذكر الله»[1]. ولكن أي ذكر؟! ... إنه ذكر السلوك والأعمال لا ذكر الأقوال..

مثال : مَن أدخل الحزن على قلب والديه هل هو ذاكر لله عملياً؟ ..

لقد مر أن الذكر العملي يظهر بشكل جَليٍّ عند الأوامر والنواهي، وإرضاء الوالدين من الأوامر التي أمرنا الله بها قال الله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾[سورة الإسراء].

لقد ذُكر الذُّل في سياق المدح والطلب مرتين في القرآن الكريم:

المرة الأولى: مع الوالدين: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾. [سورة الإسراء] . **والمرة الثانية**: مع المؤمنين: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [سورة المائدة].

هل تذكر الله؟ فكيف تتودد إلى البعيدين عن الله، وتسيء إلى المؤمنين ثم تدَّعي أنك ذاكر!... كيف تتعامل مع أصحابك بكل لباقة، وتسيء التصرف والأدب مع والديك!.. فاذكر الله عند حقوق الوالدين، عند الأوامر والنواهي، واذكر الله في كل جانب من جوانب الحياة.

(١) أخرجه الحاكم (١/٦٧٣).

قول

قال ذو النون ﷺ: (رأيتُ جاريةً والصبيان يرمونها بالحجارة، فكَفَفتُهم عنها، فنظرتْ إلي وقالت كأنها تعرفني: يا ذا النون! ما علامة الصدق؟ قلت: صيام النهار وقيام الليل، فقالت: يا ذا النون! كيف يلذ النوم لمن علم أن حبيبه لا ينام؟ ثم بكت وقالت: إلهي إن فكَّرْت في إحسانك إليّ، لم أبلغ كُنْهَهُ بفِكْري، وإن ذكرتُ سَتركَ علي، لم أقُم فيه بشكري، فيا عجباً لقلوب العارفين بك! كيف لا تنفطر إجلالاً لقدرك، وإعظاماً لوصفك؟ تباركت يا مولانا ما أحلمَك على مَنْ عصاك! وما أفضلك على مَنْ لم تدع له شغلاً بسواك! ثم أنشدت:

شعر

يَـا حبيـبَ القُلـوبِ أنـتَ الحبيـبُ	**أنـتَ أنُـسي وأنـتَ منـي قريـبُ**
يـــا طَبِيْبَـــاً بِـــذِكْره يتـــداوى	**كُـلُّ سُـقمٍ فَـنِعْمَ ذاكَ الطبيـبُ**
طلعَـتْ شـمسُ مَـنْ أُحـبُّ بليـلٍ	**واسـتنارتْ فمَـا تلاهَـا غُـروبُ**
إنّ شـمسَ النهـارِ تغـرُبُ لـيلاً	**وشـمُوسُ القلـوبِ ليـستْ تغيـبُ**
فـإذَا مـا الظـلامُ أسـبَلَ سِـتْرَاً	**فـإلى ربِّهـا تحـنُّ القُلـوبُ**

وإذا حنت القلوب إلى مولاها، وانضمت إليه بعشقها وهواها، كيف يكلها إلى غيره وهو قد تولاها؟ وكيف لا ينصرها وهو إليه قد آواها)[1].

ربنا لا تُزِغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهَب لنا من لدُنك رحمةً إنك أنت الوهاب.

ربنا اغفر لنا ولوالدينا ولمن علمنا ولمن أحسن إلينا وللمؤمنين والمؤمنات يوم يقوم الحساب.

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص٤٤٧.

ربنا اجعلنا من الذاكرين لك كثيراً، بالأعمال والقلب واللسان.

ربنا اجعلنا من الذين يذكرونك على كل حال.

يا رب هذه القلوب خضعت لهيبتك، وتذلَّلت لِعزَّتك وعظمتك، يا رب نرجو جميل عفوك، ولطيف إحسانك، وكمال كرمك ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

المجلس الثامن

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس الثامن

- هل تريد أن تكون ممن يباهي الله به ملائكته ..؟
- لستَ فقيراً .. فمِنَنُ الله كثيرة عليك ..؟
- نعمةٌ يجهلها الكثيرون ..!
- أيهما أحق بالشكر .. آلرّبُّ أم العبد ..؟!
- كم تبذل مقابل هذا العطاء ..؟
- هل تريد أن تكون في رياض الجنة ..؟
- جلساء الملائكة ..
- الذكر يُورِث الافتقار ..
- قصة الشعراني في سلوكه في مدرسة الذكر ..
- أسئلة ...أجوبتها لديك ...؟
- ثمرات عظيمة للذكر ..
- بكم تقوَّم أنت .. بأمة أم بألف ..أم ..؟!!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هل تريد أن تكون ممن يباهي الله به ملائكته؟

إذا كنت ترجو ذلك فأكثر من ذكر الله تعالى... تخيل أنك تقف بين يدي الله، والله تعالى يباهي بك ملائكته!... يقول انظروا إلى عبدي فلان... يُباهى بك..ومَن يباهي بك؟..الملائكة !!..إنه أمرٌ عظيم لا يقارن به أي أمرٍ آخر ..

ليس أستاذك الذي يباهي بك بين الطلاب، ولا أي إنسان من أهل الأرض يباهي بك إنساناً آخر، إنّ الذي يُباهي بك هو ربّ الأكوان.. يباهي بك الملائكة، والدليل على ذلك ما **روي عن أبي سعيد الخدري قال**: خرج معاوية إلى المسجد **فقال**: ما يجلسكم؟، قالوا: جلسنا نذكر الله، **قال**: آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟، قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك، **قال**: أما أني ما أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل حديثاً عنه مني، إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه **فقال**: «ما يجلسكم؟»، قالوا: «جلسنا نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام ومنَّ علينا به»، **فقال**: «آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟»،

قول

قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذاك، **قال**: «أَمَا إنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفكم لِتُهْمة لَكُم إنّه أَتَاني جِبْرِيل فَأَخْبَرَنِي أنَّ اللّه يُبَاهِي بِكُم الملائكة»[1].

فائدة

أيُّ شرفٍ أن تكون ذاكراً لله؟... أيُّ شرفٍ أن يُسمح لك بذكر بديع السماوات والأرض؟...

نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام وَمَنّ علينا به..

لستَ فقيراً.. فمِنَن الله كثيرة عليك..؟!

إن مِنَن الله كثيرة على العباد... أنت الذي تحسب نفسك فقيراً لا تملك شيئاً، لديك أشياء عظيمة وكثيرة أعطاك إياها رب العزة فمثلاً: **بكم تبيع عينك؟!**. عينك مِنَّة من الله تعالى عليك، كم يدفع من ليس له عينان ليأخذ عيناً... **وكم يساوي عقلك؟!**..

انظر إلى بعض الناس الذين يعانون من مرضٍ في عقولهم كيف ترى حالهم؟ إذا فقد الإنسان الصحة في العقل فالموت خير له من الحياة، لأنه يجد نفسه حملاً وعبئاً ثقيلاً على نفسه وعلى من حوله من الناس.

بكم تُثمِّن عقلك؟ لو أعطوك الأموال الطائلة هل تبيع؟ لا تبيع؛ فالحقيقة عقلك أنت... وإذا ذهب عقلك ذهبت أنت...

هل تشعر بمنن الله تعالى عليك؟ أتحمد الله عز وجل من أعماق وجودك على ما مَنّ عليك من نِعَمٍ أم تشكو دائماً؟.. أنت تملك الكثير، رب العزة متفضِّلٌ عليك بِمِنَنٍ لا عَدَّ لها ولا حَصْر قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة النحل].

(١) أخرجه النسائي (٨/٢٤٩).

نعمة يجهلها الكثيرون..؟!!

إذا فُقِد الماءُ من وجه الأرض وبقيت كأس واحدة فبِكَم تشتريها!. كأسُ ماءٍ يساوي الدنيا وما فيها...هذا مثال واقعي حصل مع خليفة المسلمين هارون الرشيد والذي عُرِفَت مملكته بِغِنَاها واتِّساع رقعتها:

قصة

دخل ابن السماك على الرشيد في عِظَةٍ فبكى، ثم دعا بماء في قدح فقال: يا أمير المؤمنين لو مُنِعْت هذه الشربة إلا بالدنيا وما فيها أَكُنْتَ تفديها؟، قال: نعم!، قال: فاشرب ريّاً بارك الله فيك، فلما شرب قال له: يا أمير المؤمنين أرأيتَ لو مُنِعْتَ إخراجَ هذه الشربة منك إلا بالدنيا وما فيها أكنت تفتدي بذلك؟، قال: نعم!، قال: فما تصنع بملك شربة ماء خير منه!؟ (١).

انتبه

أيها الأخ: هل تشعر بنعم الله عليك.؟

هل صار عندك حالة عشق لله... ؟

حالة حبٍ لهذا المنعم الذي ينعم عليك ...؟

قول

يقول الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي:

(...إنه الإكثار من ذكر الله وتذكُّره، والإكثار من مراقبة الله والتنبّه الدائم إلى مراقبة الله للعبد .. وخير سبيل إلى هذا التذكُّر الدائم، والوقوف المستمر تحت مظلة المراقبة الإلهية، **رَبْطُ النِّعَمِ بالمُنْعِم، بحيث كلما وَفَدت إليه نعمةٌ تذكَّر الإله الذي تفضّل بها عليه، وهيهات لِسِلسةِ النِّعَمِ الإلهية أن تنقطع في لحظة من اللحظات عن العبد**؛ إن هذا الإنسان الكريم على الله عز وجل، مُحَاطٌ من الأرض التي يعيش فوقها بآلاف النعم، ومستظلٌ من

(١) ينظر تاريخ بغداد ج٥/٣٧٢.

السماء التي تعلوه بآلاف النعم، ومحشوٌّ من فوقه إلى قَدَمِهِ بآلاف النِّعم، هذا كله بالإضافة إلى النِّعم الوافدة المتجددة التي لا حَصْرَ لأنواعها فضلاً عن عَدّها وإحصائها.

فإذا عوّد العبدُ نفسَه، وأيقظَ ذاكرته لتذكُّر الإله المُنْعم المتفضِّل، كلما أقبَلَت إليه نعمة منها، أو كلما تعامل مع واحدة منها، واستمر على هذا المنوال، اهتاجت بين جوانحه محبةٌ عارمة لإلههِ المُنْعم المُتَفضل، إذن إن النفوس مجبولة على حُبّ من قد أحسن إليها، وكلما ازداد هذا العبد المغمور بنعم الله ذكراً وتذكُّراً لربه ازدادت محبته له رسوخاً وازداد تعظيماً ومهابة له..

إن هذه المحبة الراسخة تلعب دوراً كبيراً في طرد محبة الأغيار من القلب، أو في تحجيمها وحصرها في زاوية ضيقة من الفؤاد الذي غدا جلّه ساحة لمحبة الله عز وجل وتجلياته. فتذوب في ضرام هذا الحب عصبيته للذات والمذهب ويتراجع سلطان أهوائه التي كانت مهيمنة على نفسه، وتذبل مشاعره الغريزية التي تتحكم بكيانه وتصرفاته) [1].

أيهما أحق بالشكر.. آلرّبُّ أم العبد..؟!!

إذا أحدهم أهدى إليك مالاً، فإنك تحتار في شكره وإكرامه، فإذا رأيته في الطريق من بعيد تركت كل شيء، وبادرت باتجاهه مسرعاً لتُسلِّم عليه تعبيراً عن شكرك له، أما غيره من الناس فقد لا تأبه له ..

ذاك الذي أعطاك المال تسرع إليه، والذي يعطيك إياه رب العالمين كم

(١) الحكم العطائية شرح وتحليل، د. محمد سعيد رمضان البوطي ج١/ص١٤.

يساوي؟! عقلك فقط الذي يُمكّنك من التفكير والتحليل والتخطيط وتحقيق النجاحات، والذي تستطيع من خلاله أن تحرك نفسك وأن تحرك من حولك، ألا ينبغي أن تعشق من أعطاك إياه؟..

فائدة

حال المحبين لله .. قلوبهم تتحرق شوقاً إلى الله .. ودموعهم تذرف شكراً لله ...

العاشقون لله والمحبون والذاكرون يصبح أحدهم ومعه حالة وجد وشوق، فيشتاق إلى الله ولا يجد نفسه إلا وقلبه يتدفق شوقاً لله، قلبه يتحرك ويتحرق شوقاً إلى الله عز وجل، وفي حالة الوجد والشوق ينظر إلى نِعَم الله عز وجل فيرى هذه النعم التي تغمره في كل مكان، فإن جلس على الطعام يرى أمامه قدرة الله في الخلق والإبداع، وينظر إلى القدرة الحقيقة التي يملكها هو كبشر وإنسان فيشعر بالافتقار المطلق لخالقه، فلو أن رب العالمين أَوْكَلَهُ إلى نفسه لهلَكَ، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الملك]. وقال أيضاً : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الملك].

لذلك يشعر بالافتقار المطلق إلى الله تعالى .. فلا تجده إلا وقد سالت دموعه على وجنتيه من حالة الوجد والافتقار والشوق والحب، يغلي قلبه بالحب لله عز وجل، شعور مرهف مطلق بهذه النعم العظيمة التي أعطاها الله تعالى لهذا الإنسان.

لذلك كان من دعاء النبي ﷺ ولعلمه بهذه الحقيقة وهو سيد العارفين والعاشقين والمحبين: «اللهُمَّ رحمتكَ أَرْجُو فلا تَكِلْنِي إلى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ،

وَأَصْلِح لي شَأْنِي كُلَّه»[1]. لأنه إذا أوكلك إلى نفسك فمع كل ما أُوتيت من الذكاء، وكل ما أُوتيت من الفهم تجد نفسك عاجزاً أمام قدرة الله تعالى ونعمه، أفلا ينبغي لك أن تكون واقفاً على باب الله بالشكر؟؟ واقفاً على باب الله بالذكر.

كم تبذل مقابل هذا العطاء..؟!

عندما سأل النبي ﷺ أصحابه: «ما أجلسَكُم؟» فقالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام ومنَّ علينا به، هذا الحال يجب أن يلازمك على الدوام؛ صباحاً... ظهراً... مساءً، حتى لو تقلَّبتَ في فراشك والنوم غالبٌ عليك فإن لسانك وجَنانك يلهج بذكر الله تعالى، يسمعك مَن يكون بجنبك لأن القلب مرتبط بالله، وحال الذكر غالبٌ عليه.

كان أحد المحبين إذا أتى مضجعه ونام سَمِعه من حوله أثناء الليل وهو يستغيث بالله ويدعو، أي أن عقله الباطن مشتغلٌ بالالتجاء إلى الله عز وجل!.

هكذا مَنْ تعلَّق قلبهم بالله تعالى، هذا هو حال النبي ﷺ، إنها ثمرة الذكر. **قال:** «ما أجلسَكُم؟» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام ومنَّ علينا به.. كلنا مفتقرون إلى الله وكلنا أغنياء بالله. **قال:** «آلله ما أجلسكم إلا ذلك؟»، أي: أسألكم بالله ما أجلسكم إلا ذلك؟، قالوا: آلله – يحلفون ويؤكّدون – ما أجلسنا إلا ذلك، **قال:** «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة»، من المتكلم؟ إنه النبي الذي لا ينطق عن الهوى... ومن نقل له الرسالة؟ القويّ الأمين سيدنا جبريل ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [سورة النجم].

(١) أخرجه النسائي (٦/١٦٧).

فكم يستحق بلوغ هذا المقام؟ وكم ينبغي أن تبذل مقابل هذا الذي يمكن أن تحصل عليه؟ الله يباهي بك الملائكة، قال بذلك الصادق المصدوق نقلاً عن سيدنا جبريل...

كم ينبغي أن تبذل مقابل هذا العطاء الذي تفضل به الله تعالى عليك؛ «نذكر الله ونحمده لما هدانا للإسلام ومنَّ علينا به...»، ومن جملة ما تفضل به عليك أن هيأ لك أن تكون في عداد مجلس الذاكرين، وكما مر معنا فإنك تكون بذلك مذكوراً عند الله تعالى.

هل تريد أن تكون في رياض الجنة..؟!

والآن إليك سؤالاً آخر: هل تريد أن تنعم في رياض جنة الدنيا؟! فمجالس الذكر هي رياض جنة الدنيا، أرجو الله أن يجعل لكم جنة الدنيا موصولة بجنة الآخرة، **قال النبي** ﷺ: «أيُّهَا النَّاس ارْتَعُوا في رِيَاضِ الجنّة». قلنا: «يا رسول الله وما رياض الجنة؟»، **فقال:** «مجالس الذكر»[1].

الذائق في مجلس الذكر يتمنى ألا ينتهي هذا المجلس، وكيف يتمنى أن ينتهي مجلس الذكر وقد اطمأن قلبه بالله ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الرعد] .

جلساء الملائكة...

وتذكروا أن الذاكر يُجالس الملائكة إذا صار عنده حالة الطمأنينة، فكما **ورد في الحديث عن النبي** ﷺ **قال:** «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسَاً يَذْكُرُونَ الله فِيْه إلا حَفّتْهُم الملائِكَةُ وَتَغَشَّتْهُم الرَّحْمة وتَنَزَّلَت عَلَيْهِمُ

(١) أخرجه الترمذي (٥/٥٣٢).

السَّكِيْنة وَذَكَرَهُم الله فِيْمَنْ عِنْدَه»[1]، رجال تحفُّهم الملائكة... تجلس حولهم. وهناك من يراهم، لكن من يراهم فائق الأدب مع الله تعالى؛ يستحي من الله أن يذكر ذلك لأحد، حتى لا يلتفت قلبه عن الله تعالى إلى رؤية الناس أو رؤية ما سواه.

الذكر يُورث الافتقار...

العارفون الحقيقيون والأولياء الحقيقيون لا يتكلمون عما وهبهم الله تعالى من الكرامات، وهم لا يعتقدون أن ذلك كرامة لهم، وإنما يعتقدون أن هذا لأمرٍ يريده الله، فلا يلتفت قلبهم عن الله تعالى، فالذاكر الحقيقي مفتقر بالمطلق ومتذلّل على باب الله، لا يعتقد أنه أهلٌ لذلك، بل يتّهِم نفسه دائماً بالتقصير، ليس ذلك عن ادعاءٍ بل عن عقيدة مطلقة، لأنه يرى أن الله هو الفعّال، وهو المتفضِّل.

قول

ومثل ذلك ما **قاله معاوية بن حرمل**: «لو نادى منادٍ من السماء لا يدخل النار إلا رجلٌ واحد لم أزل أخاف أن أكون أنا هو حتى أعلم أأنجو أم لا، ولو نادى مُنادٍ من السماء أن معاوية بن حرمل من أهل النار لم أزل أعمل حتى تعذرني نفسي»، هذا هو مقام المعرفة.

فائدة

مقام المعرفة يورث الخشية... يورث الخوف من الله... يورث الافتقار... يورث الأدب مع الله...

تتجرّد من كل شيء، تشعر بأنك لا تملك من الأمر شيئاً، ليس عن ادعاء بل عن عقيدة، ترى وتعتقد أن الفضل كله بيد الله تعالى، فإذا ظهر منك شيء فهذا بتقدير من الله جل جلاله.

(١) سنن ابن ماجه (٢/١٢٤٥).

وكما ورد عن حُذَيْفَةَ بن الْيَمَانِ أَنَّهُ أتى النبي ﷺ فقال: بَيْنَمَا أنا أصلي إِذْ سمعت مُتَكَلِّماً يقول (اللهم لك الْحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ إِلَيْكَ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ عَلاَنِيَتُهُ وَسِرُّهُ فَأَهْلٌ أَنْ تُحْمَدَ إنك على كل شيء قَدِيرٌ اللهم اغْفِرْ لي جَمِيعَ ما مَضَى من ذنبي واعصمني فِيمَا بَقِيَ من عمري وارزقني عَمَلاً زَاكِياً تَرْضَى بِهِ عَنِّي)، **فقال النبي** ﷺ : «ذَاكَ مَلَكٌ أَتَاكَ يُعَلِّمُكَ تَحْمِيدَ رَبِّكَ»(١).

وما روته عائشةُ أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَّمَهَا أَنْ تَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهُ وَآجِلِهُ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ عَاجِلِهُ وَآجِلِهُ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمُ»(٢).

قصة الشعراني وسلوكه في مدرسة الذكر ..

قصة

كان السالكون قديماً يأتون إلى شيوخهم فلا يقبلونهم إلا بشروط دقيقة. **يُروى أن الإمام الشعراني** درس على أعلام عصره علوم الشريعة الإسلامية بشتى فنونها من الأصول والفقه والتصوف والحديث والتفسير والأدب واللغة، ولكن هذه الدراسة لم تُرْض كل أشواق قلبه ونداءات روحه، فكان يتطلع دائماً إلى سلوك الطريق المضيء.. الطريق الصاعد إلى الله على أجنحة الحب والذوق.. طريق التصوف كما رسمه شيوخه وكما تذوقه سالكوه.

وكان الشعراني يَنْشُد الشيخَ الذائق صاحب البصيرة والإلهام ليساعده على اختصار الطريق وإزالة عقبات النفس الخفية، ثم أذن الله له بالفتح فجمع بينه وبين شيخه علي الخوّاص، فكان الخوّاص معراجه وسُلّمه الذي أوصله إلى

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/٣٩٥) .

(٢) أخرجه الحاكم (١/٧٠٢).

أبواب الفتح وسمو المنح ومناطق النور والإلهام.

وصلة الشيخ الخواص بالشعراني هي آيةٌ على مكانة الشيخ في الطريق، وهي آية على مقام العلم اللدني، فلقد كان الشيخ الخواص أمياً، وكان الشعراني عالماً، ذلك هو حكم الظاهر، أما حكم الباطن.. فلقد كان الخواص عالماً وكان الشعراني أمياً!!

قول

يقول الشعراني إن مِن مِنَنِ الله عليه أن كان وصوله وفتحه على يد أُميٍّ لا يعرِف القراءة والكتابة، **ويقول في وصْفِ شَيخه**: (رجل غلب عليه الخفاء فلا يكاد يعرفه بالولاية والعلم إلا العلماء العاملون؛ لأنه رجل كامل عندنا بلا شك). ويحدثنا الشعراني عن وصوله إلى معارج المعارف على يد شيخه وعن بحار علوم شيخه **فيقول**: «وكانت مجاهداتي على يد سيدي علي الخواص كثيرة ومنوعة، منها أنه أمرني أول اجتماعي عليه ببيع جميع كتبي والتَّصدُّق بثمنها على الفقراء!! ففعلت!!! وكانت كتباً نفيسة مما يساوي عادة ثمناً كثيراً.. فبعتها وتصدقت بثمنها، فصار عندي التفات إليها لكثرة تعبي فيها وكتابة الحواشي والتعليقات عليها، حتى صرت كأنني سُلِبتَ العلمَ، فقال لي: اعمل على قطع التفاتك إليها بكثرة ذكر الله عز وجل؛ فإنهم **قالوا**: «مُلتَفِتٌ.. لا يَصِل»، فعملت على قطع الالتفات إليها حتى خلصت بحمد الله من ذلك.

ثم أمرني بالعزلة عن الناس مدة حتى صفا وقتي، وكنت أهرب من الناس وأرى نفسي خيراً منهم، **فقال لي**: «اعمل على قطع إنك خيرٌ منهم» فجاهدتُ نفسي حتى صرت أرى أرذلهم خيراً مني.

ثم أمرني بالاختلاط بهم والصبر على أذاهم وعدم مقابلتهم بالمثل فعملت

على ذلك حتى قطعته، فرأيت نفسي حينئذ أني صرت أفضل مقاماً منهم، **فقال لي**: (اعمل على قطع ذلك) فعملت حتى قطعته.

ثم أمرني بالاشتغال بذكر الله سراً وعلانية والانقطاع بالكلية إليه، وكل خاطر خطر لي مما سوى الله عز وجل صرفته عن خاطري فوراً، فمكثت على ذلك عدة أشهر. وبهذا كله أصبح الشعراني إمام عصره علماً وذوقاً وغدا الشعراني قطباً تدور حوله الأحداث[1].

وصية

ينبغي أن تفتقر إلى الله وتتجرد إليه من جميع التعلقات.. ينبغي أن تدخل على الله بالفناء... الفناء عن كل شيء حتى لا ترى إلا المحبوب... الله رب العالمين.

أسئلة .. أجوبتها لديك..؟!

هل صرتَ في زمرة المحبين...

هل انتسبتَ إلى زمرة من رضي الله عنهم...

هل علا مقامكَ أكثر حتى صرتَ ممن ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

هل ارتقى مقامكَ حتى صرتَ محبوباً عند الله ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه].

أهذا ضربٌ من علوم العربية كالنحو والصرف والبلاغة ؟ أم هو ضربٌ من علم مصطلح الحديث ونحوه أم ماذا؟...

هذا علم قائم بذاته ومدرسة قائمة بذاتها.. إنها مدرسة التزكية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [سورة الشمس].

(١) الأنوار القدسية للإمام الشعراني/ص٩.

قول

يقول الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله: (تعلمتَ علم الكِبْر، تعلمتَ علمَ الدعوى، تعلمتَ علم التعالي، ماذا حصل لك من كل ذلك؟! تطلب هذه الدنيا الجائفة بظاهر حال الآخرة، لبئس ما صنعت.. كيف تُغفل نفسك بنفسك، وتكذب على نفسك وأبناء جنسك.. من أثبت نفسه مريداً صار مراداً، من أثبت نفسه طالباً صار مطلوباً، من عكف على الباب دخل الرحاب...، كل يطير بجناح همته إلى أمله ومقصد قلبه، قال تعالى: ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ ﴾ [سورة الإسراء] ، أي على نيته وهمته) [1].

بيت القصيد في الموضوع أن الذكر في بداية السلوك لا يحقق الفائدة المرجوة منه بالجلوس نصف ساعة فقط؛ بل يجب أن يكون ذكراً كثيراً مع التركيز والحضور كما فعل رسول الله ﷺ في غار حراء، وكما كان يفعل في مسجده الشريف حين يعتكف فيه. بهذه الخلوة تصل إلى مرحلة تستسهل معها كل صعب ولا يبقى عندك شيء مستحيل ، ويصفو قلبك من أكداره، ويصبح منوراً بنور الله ومطمئناً بذكر الله.

لذلك **ينبغي أن تدخل في مدرسة الإقبال على الله..**

ثمرات عظيمة للذكر ..

أولاً: الذكر يرفع منزلتك عند الله:

يقول رسول الله ﷺ: «اغْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ الله، وَذَكِّرُوه أَنْفُسَكُم، مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَه عِنْدَ الله فَلْيَنْظُر كَيْفَ مَنْزِلَةُ الله عِنْدَه؛ فَإِنّ الله يُنْزِلُ العَبْدَ مِنْهُ

(١) البرهان المؤيد ص ٣٧ ..

حَيثُ أَنْزَلَه مِنْ نَفْسِه»[1]. كيف هي منزلة رب العالمين في نفسك؟ إذا كنت تحب الله؟ فالله يحبك... إذا كنت تذكر الله؟ فالله تعالى يذكرك..

ثانياً: الذكر يهب قلبك الحياة:

قال رسول الله ﷺ: «**مَثَل الّذي يَذْكُر رَبّه والّذي لا يَذْكر رَبّه مَثَلُ الحيّ والميت**»[2].

مثال: ما الفرق بين المدخرة (البطارية) الممتلئة والمدخرة الفارغة؟ من حيث المظهر كلٌّ منهما مثل الأخرى... ولكن إحداها تجعل المذياع يعمل إذ تمدّه بالطاقة الكهربائية، والأخرى لا يعمل بها لأنها فارغة من الطاقة .

فانظر إلى نفسك!؟ أقلبك حي بالله أم ميت بالغفلات؟ حتى يصبح قلبك حياً بالله عليك أن تشتغل بالذكر، وحتى تعرف إن كان قلبك حياً بالله أم غير ذلك عليك أن تراقب نفسك وأعمالك وسلوكك عند الحلال والحرام.

ثالثاً : الذكر يضبط سلوكك وأعمالك:

إنّ الذكر الحقيقي يظهر في سلوكك وأعمالك، و ذكر سيدنا يوسف مثال حيّ عملي على ذلك عندما ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة يوسف] ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾. أي ذَكَرَ الله. **وفي الحديث:** «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ الله»[3]؛ أي ذَكَرَ الله، هذا دليل بأنه ذاكر.

هل تحب أن تعرف دليلاً آخر على ذلك؟، انظر لتأثيرك...

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ١/٦٧١.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

بكم تقوَّم أنت ...بأمة أم بألف..أم ...؟!

كم شخصاً أكرمهم الله تعالى فهداهم على يديك ودلهم عليه بك وبسببك؟ «لأن يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدَاً خَيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُوْنَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم»[1].

إذا وقفت غداً بين يدي الله فكم شخصاً سيكون معك وأجر هدايته في صحيفتك، هناك أناس – ما شاء الله – بأمة ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [سورة النحل]، وهناك من هو بألف رجل «صوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف رجل»[2].. فبكم تقوَّمُ أنْتَ.. بأمَّةٍ.. بألفٍ.. بخمسةٍ.. أم بلا شيء؟ فتّش نفسك...

لذلك قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الذي يَذْكُر رَبَّهُ والذي لا يَذْكُرُهُ مثل الحيِّ والميت»[3].

فائدة

من يترك الذكر يموت قلبه...

لذلك قلب الغافل ميت وجسده قبره...

ميتٌ وقبر.. هل تحب أن ترى قبراً يمشي على الأرض ؟!... إنه الغافل.. والميت جالس فيه وهو قلبه..عندما يجلس في مجلس الذكر يستوحش... وفي مجلس الخبثاء والبعيدين عن الله تراه مستأنساً ومسروراً... فإذا وجدت رجلاً في مجلس الغافلين فماذا يعني ذلك؟ يعني أن قلبه حيٌّ أو ميت؟ وإذا وجدته

(١) متفق عليه.

(٢) المستدرك على الصحيحين (٣/٣٩٧).

(٣) متفق عليه.

دائماً مع الذاكرين فقلبه حيٌ... «ما أجلَسكُم؟»، جلسنا نذكر الله هم عاشقون...قلوبهم مُعَلَّقةٌ بالله... اللهم اجعلنا منهم.

فأكثروا من ذكر الله تعالى، هذه وصية شيخنا رحمه الله في كل مجلس: (**أكثروا من ذِكْرِ الله، وذَكِّروا بالله**).

قول

يقول الشاعر:

شعر

قَدْ مَاتَ قومٌ وما مَاتَتْ مَكَارمُهُمْ وعَاشَ قوْمٌ وهُمْ في النَّاسِ أمواتُ

قول

قال بعض السلف: (شتّان بين أقوامٍ موتى تحيا القلوبُ بذِكرِهِم، وبين أقوامٍ أحياء تموت القلوب بمُخَالَطَتِهم) [1].

اللهم اجعلنا من الذاكرين لك كثيراً.. المحبين لك كثيراً.. العاشقين لك كثيراً.. الواهين بك كثيراً..

اللهم أيقظنا من غفلتنا بلطفك وإحسانك، وتجاوز عن ذنوبنا بعفوك وغفرانك يا أرحم الراحمين .

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والحمد لله رب العالمين

(١) زاد المهاجر إلى ربه لابن قيم الجوزية ص ٧٤.

المجلس التاسع

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس التاسع

- ذكر الله نعيم في الدنيا والآخرة ..
- واشوقاه إلى العيناء المرضية ...؟
- اذكر الله في كل أحوالك ...
- هل تتزود للآخرة كما تتزود للدنيا ..؟
- الذكر يعظم من قيمة الأعمال ...
- مقام أعلى من التقوى ..؟!
- الذكر يحقق لك المغفرة ويبدل سيئاتك حسنات ..
- للذكر نور يُرى في وجوه الذاكرين ...

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ذكر الله تعالى نعيم في الدنيا والآخرة...

أما في الدنيا: فالذاكرون يعيشون في نعيم الصلة بالله تعالى، حيث تطمئن قلوبهم بذكر الله، وتستأنس أرواحهم بمناجاة خالقهم جل وعلا.

وأما في الآخرة: فإن ذكرهم لله تعالى هو سبب عُلوِّ مكانتهم، حيث يغبطهم الناس على نور وجوههم وهم على منابر اللؤلؤ؛ **فعن أبي الدرداء** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «لَيَبعَثَنَّ اللهُ أَقْوَامَاً يَوْمَ القِيَامَةِ فِي وُجُوْهِهِمُ النُّورُ عَلَى مَنابِرِ اللؤلؤِ يَغْبِطُهُمُ النَّاسُ لَيْسُوا بِأَنْبِياءَ وَلا شُهَدَاءَ قَال فَجَثَا أَعْرَابِي عَلى رُكْبَتَيه فَقَالَ يَا رَسُوْلَ اللهِ حَلِّهِمْ[1] لَنَا نَعْرِفُهُم قَالَ: هُمُ المتَحابُّونَ فِي اللهِ مِنْ قَبَائِلَ شَتَّى وَبِلادٍ شَتَّى يجتَمِعُونَ عَلَى ذِكْرِ الله يَذْكُرُونَه»[2].

(١) حلهم لنا: أي صفهم لنا.

(٢) أخرجه الطبراني وإسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد (١٠/٧٧).

وكذلك فإن ذكر الذاكرين في الدنيا هو غراس الجنة في الآخرة:
روى النبي ﷺ عن أبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام ليلة الإسراء أنه قال له: (**أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان** (أراضٍ منبسطة)، **وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**)[1]، فأكثر من غراس الجنة، فمن يذكر كثيراً يصبح مكان إقامته في الجنة ممتلئاً بالغراس.

أما سكنك فسيكون عبارة عن خيمة ضخمة، من لؤلؤة مجوفة، عوضاً عن الطين واللبن وسقف الخشب والإسمنت؛ لؤلؤة مجوفة، **كما ورد عن أبي موسى الأشعري** رضي الله عنه، **عن النبي** ﷺ **قال**: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الْجَنَّةِ لَخَيْمَةً من لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا سِتُّونَ مِيلاً لِلْمُؤْمِنِ فيها أَهْلُونَ يَطُوفُ عليهم الْمُؤْمِنُ فلا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[2] وكما ورد في قصة العيناء المرضية.

واشوقاه إلى العيناء المرضية!!.

قصة

عن عبد الواحد بن زيد رضي الله عنه **قال**: «بينما نحن ذات يوم في مجلسنا قد تهيأنا للخروج إلى العدو، وقد أمرت أصحابي أن يتهيؤوا، فقرأ رجل في مجلسنا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [سورة التوبة: ١١١] ، فقام غلام في مقدار خمسَ عشرة سنة أو نحوها، وقد مات أبوه وورّثه مالاً كثيراً، فقال: «**يا عبد الواحد**.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ » فقلت: «نعم»، فقال: «**أُشْهِدُك أني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة**»، فقلت له: «إن حدّ السيف أشد عليك من ذلك، وأنت صبي، وأنا أخاف عليك

(١) أخرجه الترمذي (٥/٥١٠).
(٢) أخرجه مسلم، (٤/٢١٨٢).

من أن لا تصبر وتعجز عن ذلك»، فقال: «يا عبد الواحد! أبايع الله بالجنة ثم أعجز!؟ إني أُشْهِدُك أني قد بايعته نفسي»، أو كما قال ﷺ.

قال عبد الواحد: «فتقاصرت أنفسنا وقلنا: «صبي يعقل» فخرج من ماله كله فتصدق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته، فلما كان يوم الخروج، كان أول من طلع علينا فقال: «**السلام عليك يا عبد الواحد**»، فقلت: «وعليك السلام، ربح البيع»، ثم سِرْنا وهو معنا يصوم النهار ويقوم الليل، ويخدمنا ويخدم دوابنا، ويحرسنا إذا نمنا، فانتهينا إلى ديار الروم، فبينا نحن كذلك إذ أقبل وهو ينادي: «**واشوقاه إلى العيناء المرضية**»، فقال أصحابي: «لعله وسوس هذا الغلام أو اختلط عقله»، فقلت: «وما هذه العيناء المرضية؟»، **فقال**: «إني غفوتُ غفوة، فرأيت كأنه أتاني آت وقال: «اذهب إلى العيناء المرضية»، فهجم بي على روضة فيها نهر من ماء غير آسن، وإذا على شاطئ النهر جوار عليهن من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأينني استبشرن وقلن: «هذا زوج العيناء المرضية»، فقلت: «السلام عليكن، أَفيكُنَّ العيناء المرضية؟»، فقلن: «نحن خَدَمُها وإماؤها، امض أمامك»، فمضيت أمامي... فإذا أنا في روضة فيها من كل زينة، فيها جَوارٍ لما رأيتهن افتَتَنْتُ بحُسْنهن وجمالهن، فلما رأينني استبشرن وقلن: «هذا زوج العيناء المرضية»، فقلت: «السلام عليكن، أفيكُنَّ العيناء المرضية؟» فقلن: «وعليك السلام يا ولي الله، نحن خدمها وإماؤها، فتقدَّم أمامك، فمضيت أمامي... فوصلت إلى خيمة من دُرةٍ بيضاء، وعلى باب الخيمة جارية عليها من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه، فلما رأتني استبشرت ونادت من في الخيمة: «أيتها العيناء المرضية، هذا بعلك قد قدم»، فدنوت من الخيمة، ودخلت، فإذا هي قاعدة على سرير من ذهب، مُكلَّل بالدرِّ والياقوت، فلما رأيتها افتتنت بها، وهي تقول: «مرحباً بك يا ولي الرحمن، قد دنا القدوم علينا»، فذهبت لأعانقها فقالت:

«مهلاً، فإنه لم يأن لك أن تعانقني؛ لأن فيك روح الحياة، وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى»، فانتبهت يا عبد الواحد ولا صبر لي عنها».

قال عبد الواحد: «فما انقطع كلامه حتى ارتفعت لنا سرية من العدو فحمل الغلام على تسعة من العدو فقتلهم، وكان هو العاشر، فمررتُ به وهو يتشحط في دمه، وهو يضحك ملء فيه حتى فارق الدنيا، رحمه الله تعالى»[1].

اذكر الله في كل أحوالك...

قول

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإنه لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، وأمرهم بذكره في الأحوال كلها، فقال عز من قائل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [سورة النساء: ١٠٣] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [سورة الأحزاب] ، أي بالليل والنهار، وفي البر والبحر، وفي الفقر والغنى، وفي الصحة والسقم، والسر والعلانية، وعلى كل حال) [2] .

هل تتزود للآخرة كما تتزود للدنيا ..؟!

أنت تُفكّر في الدنيا والبيت والزوجة والأولاد والأثاث.. وإذا أردت أو أراد أحدنا مثلاً أن يهاجر بشكل نهائي إلى بلد آخر فيلزمه أن يقوم بالتجهيزات المناسبة من دراسة الأوضاع في ذلك المكان وأن ينشئ حساباً لدى

(١) قرة العيون المبصرة للشيخ أبي بكر الإحسائي/ص٨، بتصرف.

(٢) نور التحقيق ، باب الذكر، ص ١٥٤.

مصرف ما ليحول ما لديه من مال إلى هناك، وأن يبيع ما لديه من عقارات، ويجمع ما لديه من مال لإنشاء مشروع في البلد الذي سيهاجر إليه.

وأنت ألن تهاجر إلى الآخرة؟.. أليس الموت ينتظرك!؟. هل بإمكانك أن ترجع إلى الدنيا إذا سافرت؟!..﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠ ﴾[سورة المؤمنون].

هل أنشأت حساباً مصرفياً في دار الخلود؟ كم صار حسابك فيه؟ كم صار رصيدك من الأعمال الصالحات ورصيدك من خدمة دين الله؟ كم صار رصيدك من الأعمال الخيرة؟ هناك كثير من الأعمال التي يمكن أن تدخرها لتلك الدار: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧ ﴾ [سورة البقرة].

ما هو الزاد الذي أرسلته إلى هناك؟ إذا فتح لك سجل أعمالك في الدار الآخرة فهل تجده ممتلئاً أم فارغاً؟ خزائنك ممتلئة أم فارغة؟

اليوم أربع وعشرون ساعة، كل ساعة خزانة أعمال، كل ساعة تملأ بالأعمال؛ إذا لم تملأها بالطاعات ولم يكن هناك أي من الأعمال الصالحة فعندما تفتحها يوم القيامة ستجدها فارغة.

انتبه

كم مضى من حياتك؟ إذا سئلت كم مضى من ساعات عمرك فأنت تعرف الجواب، فإذا فتحت خزائن هذه الساعات يوم القيامة أتجدها ممتلئة بأعمال البر والصلاح وخدمة دين الله.. أم تجدها ممتلئة بالمعاصي والذنوب.. أم تجدها فارغة من صالح الأعمال..!؟

فكِّر واعمل لآخرتك...

هل زرعت الجنة بالغراس.. (**سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر**). إذا لم يكن عندك أي عمل فاشتغل بذكر الله، ولكن مع حضور القلب... بحيث تكون مع الله روحاً وعقلاً وفكراً.

قول

يقول ابن عطاء السكندري : (الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان، بدوام حضور القلب مع الحق) [1].

الذكر يُعظم من قيمة الأعمال..

الذاكر والغافل يعملان؛ هذا يصلي وهذا يصلي، هذا يحج وهذا يحج، كلاهما يقوم بنفس الطاعة.. ولكن هل صلاة الذاكر عند الله كصلاة الغافل؟ هل صيام الذاكر كصيام الغافل؟!

عن سهل بن معاذ، بن أنس عن أبيه، عن النبي ﷺ أن رجلا سأله فقال: أي المجاهدين أعظم أجراً يا رسول الله؟، **قال**: «أَكْثَرُهُم لله ذِكْرَا»، ثم قال: فأي الصائمين أعظم أجراً، **قال**: «أَكْثَرُهم لله ذكراً»، ثم ذكر له الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك **ورسول الله** ﷺ **يقول**: «أكثرهم لله ذكراً»، فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: (ذهب الذاكرون بكل خير)، **فقال رسول الله** ﷺ : «أجل»[2].

فإذا أحببت أن تحصل على هذا الخير فعليك بالخروج من ضيق الغفلة وظلمتها إلى نعيم الذكر وأنواره، حتى لا يُطمَس على بصيرتك، ويعمى قلبك. يقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج] وإذا عمي القلب حُجِبت عنه الحقائق فلا ينقاد لها ولا يخضع لها.

(١) مفتاح الفلاح لابن عطاء السكندري ص/٧.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٦/٢٠).

قول

يقول ابن القيم الجوزية: (وصدأ القلب بأمرين: بالغفلة والذنب وجلاؤه بشيئين، بالاستغفار والذكر... فإذا تراكم عليه الصدأ واسْوَدَّ، وركبه الرَّان، فسَدَ تصوره وإدراكه فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً وهذا أعظم عقوبات القلب، وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى، فإنهما يطمسان نور القلب، و يعميان بصره) [1]. قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الكهف].

قول

يقول ذو النون المصري: (من ذكر الله تعالى حفظه الله من كل شيء).

فائدة

مع مرور الزمن، ينتقل ذكرك من ذكر اللسان إلى ذكر الأعمال ... ذكر الأمر والنهي ...

أي ذكر العمل بالحلال والبعد عن الحرام، أي على طريقة ذكر الأنبياء، على طريقة سيدنا يوسف عليه السلام : ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة يوسف] ، هذا هو الذكر، ذكر الأمر والنهي، وكما مرَّ: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ»[2]. ذكر الله فخاف من معصيته.

وصية

ينبغي أن تذكر الله حتى ترتقي إلى أن تصل إلى مرتبة الذكر العملي.. ذكر الأمر والنهي..

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب ، لابن قيم الجوزية ص/٥٦.

(٢) أخرجه مسلم (٢/٧١٥).

مقام أعلى من التقوى ..؟!

يحصل الذاكر على مقام أعلى من التقوى وهو مقام حق التقوى، فالذاكر يتقي الله حق التقوى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [سورة آل عمران].

قول

سئل سيدنا ابن مسعود عن هذه الآية فقال: (أن يُطاع الله فلا يعصى، وأن يُذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يكفر)[1]، أي لا يكون يوماً من أهل الطاعة ويوماً من أهل المعصية! يوماً يسير للأمام ويوماً للوراء! تنظر إليه فتراه ذا همة عالية طاعة وعبادة وذكراً ودعوة إلى الله ويوماً آخر تجده في الاتجاه المعاكس، لماذا انتكس؟ لأنه لم يتق الله فوقع في المعصية، والصغائر يخشى أن تجر الكبائر!!..

وصية

ينبغي أن ترتقي في التقوى حتى تصل إلى مقام حق التقوى (أن يطاع الله فلا يعصى)...

معصية وطاعة لا تجتمعان، وهذا ليس من صفات ولا من طباع السالكين إلى الله عز وجل.

الذكر يحقق لك المغفرة ويبدل سيئاتك حسنات:

يقول رسول الله ﷺ : «مَا مِنْ قَوْم اجْتَمَعُوا يَذْكُرُون الله عز وجل، لا يُرِيدُونَ بِذَلكَ إلاّ وَجْهَه، إلا نَادَاهُم مُنَادٍ مِنَ السَّمَاء، أنْ قومُوا مَغْفُوراً لَكُم، فَقَد بَدّلتُ سَيّئاتكم حَسَنات»[2].

(١) أخرجه مسلم .

(٢) أخرجه أحمد (١٤٢/٣).

للذكر نور يرى في وجوه الذاكرين.

مجرد أن تنظر إلى وجه السالك تعلم أنه ذاكر، بمجرد أن تنظر إلى وجهه تعلم أنه من أهل التزكية، وإذا كان من المنكرين فبمجرد أن تنظر إلى وجهه تعرف ذلك. وهذه معرفة وخبرة يمنحها الله تعالى لأهل الذكر والمعرفة بالله...

وكما تُعرف وجوه المؤمنين الذاكرين المقربين بالآخرة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [سورة عبس]، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة القيامة] أي مشرقة مضيئة متهللة، كذلك تعرف وجوه الكافرين الفجرة ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة القيامة]، ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة عبس] يعني ظلمة الكفر والفجور.

﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة آل عمران].

اللهم بيِّضْ وجوهنا بأنوار ذكرك يوم لقائك واجعلنا من الخالدين في رحمتك ...

اللهم إنا نسألك أن تجعلنا من أصحاب الوجوه الناضرة المسفرة.

اللهم أعذنا من أن نكون من أصحاب الوجوه الباسرة التي

عليها غبرة وترهقها قترة.

اللهم اخترنا لخدمة دينك.. واصطفينا لنفسك وألق علينا محبة منك واصنعنا على عينك..

اللهم اغفر لنا.. وارحمنا.. وإلى غيرك لا تكلنا.. ومن شر نفوسنا سلمنا.. وعن بابك لا تقطعنا.. وعن ذكرك لا تحجبنا.. حتى نلقاك وأنت راض عنا يا أرحم الراحمين.

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

المجلس العاشر

سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى

عناوين المجلس العاشر

- من صفات الذاكر لله تعالى:
  - الذاكر لله أحب العباد إلى الله ..
  - الذاكر لله هو الشاكر لله ..
- الذكر هو علامة لثلاثة أمور:
  - الذكر علامة البعد عن النفاق ..
  - الذكر علامة الاشتياق إلى الله ..
  - الذكر علامة محبة الله للعبد الذاكر ..
- سيماهم في وجوههم ..
- هل لديك قلبٌ وجلٌ بذكر الله ...؟
- الذاكر في ظل العرش يوم القيامة ...
- الذاكر يطمئن قلبه بذكر الله ...
- حال الذاكر .. حالٌ عظيم ..!
- الخلاصة لماذا أنت بحاجة إلى ذكر الله ..؟!!
- شروط عشرة للوصول إلى مقام الذاكرين..

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من صفات الذاكر لله تعالى ...

أولاً : الذاكر لله أحب العباد إلى لله:

قول

قال الحسن: (أحبّ عباد الله إلى الله أكثرهم ذِكراً وأتْقاهُم قلباً). هم الذاكرون الله كثيراً، ذكروه فذكرهم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [سورة البقرة]. ذَكروهُ فكان معهم، يقول الله عز وجل: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وَأَنَا مَعَهُ حِيْن يَذْكُرُنِي»[1].. تقربوا إليه فتقربَ الله إليهم «إذا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إلي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إليه ذِرَاعاً وإذا تَقَرَّبَ إلي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ منه بَاعاً وإذا أَتَانِي يمشي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».. أحبوه فأحبهم.. فنالوا مقام﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة]).

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قال موسى عليه السلام حين كلّمَ ربه: «أي ربّ أيُّ عبادك أحبّ إليك؟»، قال: «أكثرهم لي ذكراً»[2].

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٧/٧٢.

ثانياً: الذاكر لله هو الشاكر لله:

الذكر يقودك إلى الشكر، والشكر يعيدك إلى الذكر. فالذاكِر يتقلب بين ذِكرٍ وشكرٍ لما يرى من عظيم نعم الله عليه، وبالأخص نعمة الذِّكر المؤدي إلى خضوع القلب والشعور بمعية الله تعالى على كل حال؛ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [سورة الحديد].

قول

قال زيد بن أسلم: قال موسى عليه السلام: «يا رب، كيف أشكرك؟»، قال له ربه: «تذكرني ولا تنساني، فإذا ذكرتني فقد شكرتني، وإذا نسيتني فقد كفرتني»(١).

ولذلك ربطَ أهلُ المعرفة بين الذكر والشكر فقالوا: «الشُّكرُ: عُكوفُ القلب على محبة المنعم، وعكوف الجوارح على طاعته، وجَريانُ اللسان بذكرهِ والثناء عليه»..

قول

وقال الشيخ أحمد الرفاعي رحمه الله : (الشُّكرُ وقوفُ القلبِ على جادّةِ الأدب مع المنعمِ ... والشّكر رؤيةُ المنعم لا رؤية النعمة) (٢).

الذكر هو علامة على ثلاثة أمور...؟

أولاً: الذكر علامة البُعْد عن النفاق.

يقول النبي ﷺ « أَرْبَعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كانت فيه خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كانت فيه خَصْلَةٌ من النِّفَاقِ حتى يَدَعَهَا، إذا اؤْتمن خَانَ وإذا حَدَّثَ كَذَبَ وإذا عَاهَدَ غَدَرَ وإذا خَاصَمَ فَجَرَ»(٣).

فكثرة ذكر الله تنفي النفاق، فإذا كنتَ ذاكراً لله فلن تحمل أوصاف

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان.

(٢) البرهان المؤيد ص/٢٨.

(٣) أخرجه البخاري (١/٢١).

المنافقين، فلا يمكن للذاكر لله أن يكذب، ولا يمكن أن يخلف الوعد، ولا يمكن له أن يخون، ولا يمكن أن يكون فاجراً، ولا أن يُظهر الإيمان والتقوى وفي قلبه ما يخالف ذلك، ودليل هذا ما رواه أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الله فَقَدْ بَرِئَ مِنَ النِّفَاقِ»[1].

ثانياً : الذكر علامة الاشتياق إلى الله:

لا يشتاق الإنسان إلا إلى شيء يذكره باستمرار، فكيف بمن يهتاج شوقه متدفقاً فياضاً متصاعداً إلى ربه عز وجل؟!

فائدة

إن الإنسان الذاكر تطير روحه على أجنحة أشواقه إلى محبوبه جل جلاله متقرباً ومتنعماً بحلاوة الذكر...

قول

قال ذو النون: «من اشتغل قلبه ولسانه بالذكر، قذف الله في قلبه نور الاشتياق إليه». ولذلك كان رسول الله ﷺ دائم الاشتياق إلى الله، وكان من دعائه «أَسْأَلُكَ لَذَّة النَّظَرِ إلى وَجْهِك والشَّوقَ إلى لقَائِكَ»[2].

ثالثاً : الذكر علامة محبة العبد لله:

قول

قال إبراهيم الجنيد: «كان يقال من علامة المحب دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلما ولع القلب بذكر الله إلا أفاد منه حب الله تعالى». **وقال فتح الموصلي:** «المحب لله لا يغفل عن ذكر الله طرفة عين».

فائدة

كيف يسأم أو يقصر في ذكر الله تعالى من تولّه بحبه، إن المحب الحقيقي لا يفتر عن ذكر محبوبه على كل أحواله...

(١) المعجم الأوسط للطبراني.

(٢) أخرجه النسائي (٣٨٧/١).

قول

قال أبو جعفر المحولي: «ولي الله المحب لله لا يخلو قلبه من ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته». وكلما قويت المحبة جرى ذكر الله على قلب ولسان الذاكر بلا تكلف.

وقد ذكر لي عن بعض الذاكرين أن الذكر والدعاء يجريان على قلبه ولسانه «يا الله.. يا الله... يا أرحم الراحمين... يا كريم...» كلما تقلب أثناء نومه. **يقول سمنون**: (ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة)[1] إذ لهم من معية محبوبهم أوفر النصيب.

قول

قول

سئل الجنيد ﷺ **عن المحبة ؟ فبكى وقال**: (كيف أصِفُ عبداً ذاهباً عن نفسه، متصلاً بذكر ربه ، قائماً بأداء حقوقه ، ناظراً إليه بعين قلبه، قد أحرق قلبَه نارُ هيبته ، وصفا شربُه من كأس وِردِه ، وانكشف له الجبار من أستار غيبه، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فمن الله ، وإن تحرك فبأمر الله وإن سكن فمع الله ، وهو بالله ولله ومع الله)[2]. **ومما قالوا**:

شعر

لَـــولا التَّعلُّـــل بالرّجـــاءِ لقُطِّعَـــتْ نفـــسُ المحـــبِّ صَـــبَابةً وتَـــشَوّقَا

ولقَـــدْ يَكـــادُ يـــذوبُ منـــهُ قلبـــهُ ممـــا يُقاســـي حَـــسْرةً وتَحرُّقـــا

حتـــى إذَا روحُ الرجـــاءِ أصـــابهُ سَـــكَنَ الحريـــقُ إذا تعلَّـــل باللّقـــا

قول

يقول أبو حمزة البغدادي: (محال أن تحبه ثم لا تذكره، ومحال أن تذكره ثم يحجبك عنه، ويشغلك بغيره) . وهذا يدل على أن الذين ينشغلون عن الله أثناء الذكر هم لا يذكرون حقيقة...

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن قيم الجوزية ص/٤٠٩.

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبه ص ٤٧٢ .

سيماهم في وجوههم ..

إن من علامات ذكرك لله عز وجل أن يظهر على وجهك سمت خاص، فتستطيع أن تعرف من النظر إلى وجه الرجل أنه ذاكر لله تعالى، بهاؤه يخبرك أنه ذاكر، وجهه يقول إنه عابد.. إنه مقبل على الله.. إنه من المتهجدين.. من المحبين.. من أهل الخشية لله تعالى.

انتبه

يجعل الله تعالى على وجوه المحبين.. وعلى وجوه الذاكرين سمتاً خاصاً ...

فمن بركات الذكر أن يكرمك رب العالمين بوجه منور مشرق يُنبي عن محبتك وعشقك؛ وحقيقة هذا الذي يظهر على الوجه أساسه في القلب، فترى ما في القلب ينعكس على الوجه؛ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة الأنفال]، هذا الوجل الذي يكون في القلب.. هذه الخشية التي تكون في القلب.. هذه المحبة التي تكون في القلب.. هذا التوله الذي يكون في القلب..كل ذلك يُظهر على وجه الذاكر هذا السمت المتميز.

هل لديك قلبٌ وجلٌ بذكر الله ...؟!

سؤال

يقول الله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة الأنفال] **هل** أصبحت ممن إذا سمعَ ذكر الله تعالى وجد أن قلبه أصبح من القلوب التي ترقّ استعظاماً لله تعالى ؟ **هل** أصبحت من أصحاب القلوب التي إذا سمعت ذكر الله تعالى استشعرت الخشية والخوف منه؟ هناك شخص قلبه قانت، وهناك آخر قلبه وجل، وهناك – والعياذ بالله – من قلبه قانط أو منكر.

فهل ملكتَ قلباً وجلاً؟.. **هل** أصبحت من أصحاب القلوب التي إذا

سمعت ذكر الله خضعت هيبة لله تعالى.. ؟ **هل** يتحرك قلبك عندما تستمع إلى ذكر الله تعالى ؟.. **هل** تشعر بأن قلبك بدأ يتذوق؟.. **هل** صرت من أصحاب القلوب الذواقة؟. يجب أن تفتش نفسك أيها المريد.. يجب أن تفتش نفسك.. يا من ترغب أن تكون داعياً إلى الله تعالى..

انتبه

لا يمكن أن تكون داعياً إلى الله ..إذا لم يشرق قلبك بنور الله .؟

وإذا اقتصر أمرك على تعليم العلوم الاصطلاحية فقط، ولم تأخذ بالقلوب إلى محبة علاّم الغيوب، فلن تؤثر ولو في قلب إنسان واحد..

وصية

ينبغي أن تكون من أصحاب القلوب المتأثرة...

لتصبح من أصحاب القلوب المؤثرة ...

وأن تكون من أصحاب القلوب الوجلة في الذكر..

لتصبح من أصحاب القلوب العامرة بالدعوة..

الذاكر في ظل العرش يوم القيامة..

إن الذاكر لله تعالى من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، **كما ورد في حديث النبي** ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عليه وَتَفَرَّقَا عليه وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقال إني أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[1].

(١) متفق عليه.

إذا جلست في مجلس ذكر الله عز وجل هل تفيض عينك بالدمع إشارة إلى ما وقع في قلبك من أنوار الله وعلامة على ما هبط على قلبك من تجليات، ودلالة على خُلوّ قلبك من الالتفات إلى ما سوى الله تعالى.

هل تحس بنِعَمِ الله عز وجل عليك فيشتاق قلبك إلى الله عز وجل عند ذكرك له، فينعكس هذا بكاءً في عينيك شوقاً إلى الله واعترافاً بفضله؟.. واعترافاً بنعم الله التي قد غمرك بها غمراً.. فنعم الله عليك ليست محدودة، بل أنت مغمور ببحر من تلك النعم، ومهما حاولت أن تعرف مقدار النعم التي أنعمها الله عليك فلن تستطيع.. بل إن أهل الأرض كلهم لا يستطيعون أن يحصوا النعم التي أعطاها الله عز وجل لإنسان واحد... لذلك قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[سورة إبراهيم] من وهبك وأكرمك بعينين ولساناً وشفتين[1].

(١) استمع لطبيب مختص بالعينية وهو يتكلم فقط عن آلية الرؤية ومما تتكون عينك.. هل تدري كم تحوي عينك من مخاريط؟ وكم أُسطوانة موجودة في هذه الطبقة الرقيقة التي يدخل منها الضوء حتى يصل إلى قاع العين حيث الشبكية التي هي أعصاب حساسة للرؤية..؟ ثم تنتقل الصورة عبر العصب البصري لتصل إلى الجزء الخلفي للدماغ.. حيث يقلبها ويصححها ويقرأ الصورة...

ملايين الأسطوانات والمخاريط الموجودة في عينك منتظمة انتظاماً يعجز عقل الإنسان عن إدراك آليته، كل هذه المخاريط وهذه الأسطوانات التي تمر عبرها الإشعاعات الضوئية! من نظمها لك؟.. ومن أوجدها لك؟.. لو كُلفتَ بأن تُوجِد مخروطاً واحداً ليس أكثر.. وأن تصنع أسطوانة واحدة وليس أكثر، فستقضي كامل دهرك دون أن تصنع مخروطاً أو أسطوانة واحدة... وهذا فضلاً عن جميع الأعضاء من الداخل... مع كم طبيب متخصص بالجراحة العصبية بالدماغ ينبغي أن تجلس ليشرح لك آلية عمل الدماغ وعِظَمَ

قول

يقول الشيخ محمد الغزالي:

(ما أكثر النعم التي بين أيدينا وإنْ غفلنا عنها !!. أقليل أن يخرجَ الإنسان من بيته، وهو يهزُّ يديه كلتيهما، ويمشي على الأرض بخطواتٍ ثابتةٍ، ويملأُ صدره بالهواء في أنفاس رتيبة عميقة، ويمدّ بصره إلى آفاق الكون، فتنفتحُ عيناه على الأشعة المنسابةِ، وتلتقط أذناه ما يموجُ به العالم من حَرَاك الحياة والأحياء؟. إنّ هذه العافية التي تمرحُ في سَعَتها، وتستمع بحريتها ليست شيئاً قليلاً. وإن كنت في ذهولٍ عمّا أُوتيتَ من صحةٍ في بدنك، وسلامةٍ في أعضائك، واكتمالٍ في حواسك، فاصْحُ على عجل، وذُقْ طعم الحياة الموفورة التي أُتيحت لك، واحمدِ الله وليّ أمرك، ووليّ نعمتك على هذا الخير الكثير

النعم التي وهبك إياها رب العالمين من خلال الدماغ فقط..؟ أتعرف كم خلية في دماغك..؟ إنها أربعة عشر مليار خلية!!! والإعجاز أن كل خلايا الجسم تتجدد إلا خلايا الدماغ! فماذا يحصل لو أن خلايا الدماغ تتجدد كما تتجدد باقي خلايا الجسم؟!! لو أنها تتجدد ما قدر الدماغ على اختزان المعلومات والخبرات المتراكمة !!! وستبقى طيلة حياتك بعقل طفل مولود حديثاً !! وهذا يعني استحالة الحياة البشرية وفناءها !! فمن أوحى إلى خلايا الدماغ أن تخالف القاعدة ولا تجدد ...؟!!

ولو تمرَّدت مجموعة من خلايا الدماغ على النظام الموضوع لها فسيحدث خلل خطير في وظائف الجسم التي تزهو بها وتتفاخر فإذا كانت مسؤولة عن الحركة فسوف تتوقف حركتك وتُصاب بالشلل.. وإذاكانت وظيفة هذه الخلايا متعلقة بالكلام فسيتوقف لسانك عن الكلام! نعم أعطاك هذا الدماغ الذي تصبح به متميزاً بين الناس، ولو لم يعطك هذا الدماغ لم تتمكن من الرؤية.. ولا من السماع... ومع كل ذلك تنسى الله وتحب غيره!! ويتعلق قلبك بغيره بدلاً عن تعلق قلبك به!!؟

مَنْ مَدد لك الشرايين..؟ اطلب من اختصاصي في الشرايين والأوردة أن يشرح لك عن الشرايين التي في داخلك... لقد جعل الله عز وجل في جسمك عدة شرايين احتياطية للدم، وعندما يتعطل أحد الشرايين في القلب يمكن أن يزال ويوضع مكانه أحد هذه الشرايين الاحتياطية، فمَن وضع لك إياها؟ هل تحبه؟؟ .

ينبغي أن تتقي الله الذي غمرك بالنعم ظاهرة وباطنة..

الذي حبَاك إياه.... ومن الخطأ أن تحسب رأسَ مالكَ هو ما اجتمع لديك من ذهب وفضة !!.. إنّ رأس مالك الأصيل جُملة المواهبِ التي سلّحك الله بها، من ذكاءٍ، وقدرةٍ، وحريةٍ، وفي طليعة المواهب التي تحصى عليك، وتعتبر من العناصر الأصلية في ثروتك ما أنعم الله به عليك من صحةٍ سابغةٍ، وعافيةٍ تتألق من رأسك إلى قدمك، وتتأنَّق بها في الحياة كيف تشاء)[1].

اذكر الله ذكراً حقيقياً.. اذكر نعمه.. اذكر فضله عليك.. اذكر عطاءه لك..ينبغي أن تتقي الله عز وجل.. أن تذكر الله عز وجل حقيقة الذكر.. أن تحب الله عز وجل.. أن تعشق رب العالمين.. « وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيَاً فَفَاضَتْ عَيْنَاه»[2].

فائدة

إذا ذكرت الله عز وجل تفيض عيناك بالدمع....
عشقاً وشوقاً وحباً وخشية من الله عز وجل..
فإذا لم تبك فلأن قلبك لا يزال قاسياً ويحتاج إلى صقل وتدريب..
ولكي يصبح قلبك محباً عليك أن تجالس المحبين والعاشقين..

عن ابن مسعود ﷺ **أن رسول الله** ﷺ **قال له:** «اقْرَأ عَلَيَّ القُرْآن»، فقلت: يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟!، **قال:** «إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، قال: «فقرأت عليه سورة النساء حتى جئت إلى هذه الآية:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [سورة النساء] **قال:** «حسبك الآن»، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[3].

(١) جدد حياتك ، محمد الغزالي ص١٣٧ وما بعدها.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الجماعة إلا ابن ماجه.

وعن عبد الله بن شداد قال: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصفوف في صلاة الصبح وهو يقرأ سورة يوسف حتى بلغ ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة يوسف] وبكى حتى سالت دموعه على ترقوته. قال النووي . رحمه الله .: وفي رواية أنه كان في صلاة العشاء فتدُلُّ على تكريره منه[1].

أجل! عندما دخلت الأنوار الإلهية قلب سيدنا عمر المتنَزِّلة من القرآن الكريم والتي تشع من القرآن وآيات الكتاب العظيم تحرّكَ قلبه.. ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الأنفال]، وجل قلبه فصار يبكي.. وسمع البكاء من كان في آخر الصفوف، هكذا كان أصحاب النبي ﷺ...

فائدة

إذا كان قلبك قاسياً وليس لك حالة وجد وحالة بكاء ..
فعليك أن تكثر من ذكر الله...
وينبغي أن تكثر من مجالسة الصالحين... وأن تحب المحبين
وأن تعشق العاشقين ... فيسري فيك ما سرى فيهم...

الذاكر يطمئن قلبه بذكر الله.

من فوائد الذكر طمأنينة القلب بذكر الله، والدليل هو ما نصَّ عليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾. [سورة الرعد].

(١) أخرجه البخاري (١/٢٥٢) .

فائدة

إن طمأنينة القلب ... هي من أعظم الكنوز التي يحصل عليها الذاكر في الحياة..

إذا صرتَ من الذاكرين وصار عندك هذه الطمأنينة تصبح من أسعد الناس الذين يمشون على الأرض... إذا انهار الناس أمام الصعوبات فإنك تواجهها باقتدار وثقة وتكون قوياً مطمئناً ثابتاً عوضاً عن أن تنهار.. لا تصعب عليك الأمور.. ولا تشعر بضيق.. لأن لديك قلباً مطمئناً.. ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾.. [سورة الرعد].

قول

لذلك قالوا: «الذكر لذة قلوب العارفين»، العارفون تتلذذ قلوبهم بذكر الله تعالى... لمَ تتلذذ قلوبهم بذكر الله؟. **قال مالك بن دينار**: «وما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل، فليس شيء من الأعمال أخف مؤونة منه، ولا أعظم لذة، ولا أكثر فرحة وابتهاجاً للقلب»؛ لأن هذه القلوب يحصل لها الطمأنينة بالله.. هو مع الله.. شعوره وإحساسه الكامل أنه مع الله.. يشعر بمعية الله له..

إذا كان الذاكر يشعر بمعية الله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد] فكيف يكون حاله؟.. إنه لا يتأثر لا بمدح ولا ذم.. صار إحساسه الكامل بالله تعالى. **عن عبادة بن الصامت** رضي الله عنه **قال: قال رسول الله** ﷺ: «أَفْضَلُ إِيمَانِ الْمَرْءِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»[1].

* * * * *

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ج١/٤٧٠ .

حال الذاكر ..حالٌ عظيم ..!!

قول

قال زهير البابي: «إن لله عباداً ذكروه فخرجت نفوسهم إعظاماً واشتياقاً»: تأدبت نفوسهم فصارت عوضاً عن كونها أمارة بالسوء نفوساً مشتاقة إلى الله «إعظاماً واشتياقاً»، «**وقوم ذكروه فوجلت قلوبهم فَرَقاً وهيبة**»: وأناس في حالة ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [سورة السجدة]، هناك حالة خوف وحالة رجاء.. هناك أناس في مقام الخوف وأناس في مقام الرجاء، «**فلو حُرِّقوا في النار لم يجدوا مَسَّ النار**».. هل تقدر أن تدخل في الذكر ويضعوا ناراً على يدك فلا تشعر بها!!!؟ تغلبت الروح والطاقة الروحية الداخلية على الجسم فصار الجسم تحت سلطان الروح، لا تحت سلطان المادة. ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الأنبياء].

ويتابع زهير البابي قوله: «فلو حرقوا بالنار لم يجدوا مسَّ النار.. وآخرون ذكروه في الشتاء فارفضوا عرقاً من خوفه»: يتعرق والبرد شديد جداً!!.. من خوفه من الله وخشيته له...

وصية

افحص نفسك بأنس قلبك بالله عز وجل...
اجلس ودرِّب قلبك على الذكر حتى يحصل لقلبك الطمأنينة... ويحصل لك الأنس بالله تعالى...
فالذكر يحيي القلب فيأنس بربه... ويتنعم بقربه... ويتلذذ بمناجاته ونفحاته.

* * * *

الخلاصة لماذا أنت بحاجة إلى ذكر الله ..؟!

أولاً: حتى تصلح النيات والأعمال .. فأنت بحاجة لذكر الله ..

ثانياً : وإن أحببت أن تكون داعياً إلى الله فأنت بحاجة لذكر الله.

لذلك أمر الله تعالى الأنبياء بالذكر... حتى يؤدوا مهمة الدعوة إلى الله...

ثالثاً : وإن أحببت أن تتغلب على الصعوبات في الحياة فعليك أيضاً بكثرة ذكر الله تعالى.

وهكذا إن لذكر الله فوائد عظيمة يصعب إحصاؤها، تجد بعضها في حياتك اليومية، فتنعكس عليك نجاحاً وإشراقاً، وتجد نتيجة بعضها في حياتك الأخروية سعادة وترقياً وإكراماً..

الخلاصة

احرص على ذكر الله ... حرصك على حياتك.. فهو طريقك إلى:

...السعادة والنجاح والتفوق ...

شروط عشرة للوصول إلى مقام الذاكرين:

ثق تمام الثقة، بأنك لن تصبح من الذاكرين الحقيقيين لله تعالى إلا إذا تحققت لديك هذه الشروط العشرة التالية:

أولاً: إذا صحبت أهل الذكر ...

ثانياً: إذا ذكرت الله تعالى معهم وأحببتهم ...

ثالثاً: إذا داومت على مجلس ذكر يومي باللسان وبالقلب منفرداً أو مع الجماعة .

رابعاً : إذا ذكرت الله مع حضور القلب وعدم الغفلة ...

خامساً: إذا ابتعدت عن اللاهين الغافلين وعن مجالسهم...

سادساً: إذا اجتهدت بالتقرب إلى الله تعالى بالنوافل ...

سابعاً : إذا تلوت القرآن بثلاثة شروط :

أ . التدبر، ب . العلم، ج . العمل.

ثامناً: إذا أكثرتَ من الدعاء بخاصة في الثلث الأخير من الليل ...

تاسعاً: إذا اجتهدت في تحري الحلال وتجنب الحرام (ذكر الأعمال)...

عاشراً: إذا فعلت كل ذلك بهمة عالية وشوق وإخلاص ...

النتيجة

عندئذٍ يُنقش اسم الله في قلبك .. بمشيئة الله تعالى .. فينبهك قلبك إلى الذكر إذا شردت...

قول

قال حاتم الأصم: (صاحبتُ شقيقاً البلخيَّ ثلاثين سنة فقال لي يوماً: أي شيء تعلّمت؟ .. فقلت: (رأيت رزقي من عند ربي فلم أشتغل إلا بربي [أي لم أسلم أمري إلا إليه ولم ألتفت إلا إليه] ورأيت أن الله تعالى وكل بي ملكين يكتبان عليَّ كل ما تكلمت به فلم أنطق إلا بالحق... ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري، والرب تعالى ينظر إلى باطني، فرأيت أن مراقبته أولى وأوجب فسقطت عني رؤية الخلق) [1].

قول

قال أحمد بن عجيبة: (يا هذا ما أطيب عيش من وعى فأجاب.... ما أعزّ قدر من لازم الباب..! ما أخسَّ قدر من أُبْعِد عن الجناب ..! ما أبخس قيمة من له على الغفلات انكباب ..! إذا غلب الطبعُ فلا تنفع الحيلة، فسبحان من يعطي ويمنع ...) [2].

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ج٢/٣٥٣.

(٢) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص/٤٥٩.

دعاء

كان من دعاء أحمد بن عجيبة الحسني: (اللهم إنَّا قصدنا حماك خاضعين، وبجنابك منتسبين، وبحبل جوارك متمسكين، وبعزِّ جاهك مستعزين، وبنصرك السريعِ مستنصرين، فانصرنا ولا تنصر علينا يا خير الناصرين... حاشا عهدَك الوافي، ونصرَك الكافي، أن تخذل من دخل تحت جوارك، أو تطردَ من وقف ببابك، يا خيرَ من سُئل، ويا أكرمَ من أعطى، ارحمْ عبداً لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرّاً، برحمتك يا أرحم الراحمين) [1]..

جعلني الله وإياكم من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

اللهم انفحنا بنفحات قربك، وأفض على قلوبنا من موارد حبك، وزدنا يا ربنا من غوثك وإمدادك، ونسألك لذة النظر إلى وجهك،والشوق إلى لقائك.

اللهم ارزقنا حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربنا إلى حبك.

اللهم أحبنا واصطَفِنا واجعل حبك أحب الأشياء إلينا وأحينا على حبك وأمتنا على حبك واحشرنا في زمرة المحبين لك يا رب العالمين.

يقول الله تعالى :

﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الحديد].

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

والحمد لله رب العالمين

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة ص/٤٥٠.